الموعود

اسم الكتاب: الموعود
النوع: رواية
تأليف: أيمن المليحي
إصدار: ٢٠٢٤
تحت إشراف: أسماء أبوالعطا
تصميم الغلاف: أماني محمود
إخراج فني: عبدالعليم منا
مراجعة وتدقيق: أيمن المليحي
رقم الإيداع: ٢١١٢٢-٢٠٢٤
الترقيم الدولي I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٨٨٠١-٠٩-٥

كاريزما للنشر والتوزيع
٩ شارع مسجد المغفرة المتفرع من شارع العشرين بجوار مدارس حسام الدين الخاصة – فيصل – الجيزة
موبايل: ٠١٠٠٧١٣٦٨٩٧&& ٠١١١٣٠٧٩٧٤١

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©
وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية، يُعرِّض صاحبه للمسائلة القانونية.
أما الحقوق الملكية الفكرية والآراء والمادة الواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

رواية

الموعود

أيمن المليحي

أريزما
للنشر والتوزيع

-١-

راحة نفسية لامست أحد عشر راكبًا أولهم أنا بعد النزول من "ميكروباص" متهالك؛ حوَّله سائقه إلى ساحة فرح شعبي بأغاني تُصنَّف ضمن أنواع الإيحاء الجنسي، أحبط محاولات نقاش الركاب معه لخفض الصوت واستغلها كمشاجرات يستعرِض بها قوته أمام أنثى حَجز لها الكرسييْن لتجلس بجواره مُنفردة، مُتقمصًا شخصـــية "Vin Diesel " بظنٍ منه أنَّ صلعته المشوهة بضربة مطواة تُقربه من الشبه به.

انطلقتُ مُتذمرًا، فبعد يوم عملٍ ممل التفاصيل لم أكُن بحاجة لهذا الصداع، دلفتُ طريقًا مزدحمًا يؤدي إلى أحد مداخل محطة الشهداء بالمترو، دخلتُ قاطعًا الطريق للوصول إلى اتجاه حلوان، بعد تململ معتاد في طابور شباك التذاكر أخذت تذكرتي وقد غادر مترو لتوه، فأصبح الرصيف فارغًا في مشهد تهواه عيناي، وقفتُ شاردًا لدقائق حتى دوَّى صوت تنبيه وصول المترو، انتبهتُ لأرى الرصيف قد امتلأ خلفي وبجواري على امتداد المحطة بمقدمة جيش جرار، ينتظر إشارة بدء الهجوم ليواجه جيشًا آخر سيظهر بعد ثوان من المترو القادم، وقفتُ على أحد جانبي الباب أنتظر

انتهاء سيل الركاب المتدفق وسط خليط أصوات من كل الاتجاهات تطالب بسرعة النزول والصعود، لم أشعر بعدها إلا بفيضان يجتاحني من خلفي لأحتضن ضحية كان يأمل بالنزول فأعدتهُ للداخل، يجالد في دفعي ولا يعلم أن ورائي أعدادًا من البشر تكفي أنفاسهم لدفع جسدينا للأمام، وقبل أن يرتد إليَّ طرفي كنت بحضنه عند الباب المُغلق من الجانب الآخر للمترو، احمرَّ غيظًا ونظر إليَّ كشخص هدم حلمه صارخًا في وجهي بعبارات التخلف وعدم النظام.

وقفتُ محشورًا لا يتحرك مني إلا أصابع قدميّ، محاصر بين رجل أمامي اقترب وجهينا حتى بدا أنه سيهديني قبلة نهاية فيلم رومانسي، وبين رجل خلفي بدا كمتحرش، تصل لأنفي روائح المحتاجين لاستئصال الإبطين قبل موتي اختناقًا، ولم أتخلص من هذا الوضع المُشين إلا بعد أن خفَّت أعداد الراكبين، وقفتُ أستند بظهري على الباب المغلق فوقعتْ عيناي على مُلصق دليل المحطات، أنتظر الوصول لمحطة وادي حوف.

أغمضتُ عينيَّ استرخاءً، تمر بذاكرتي أحداث العمل اليومية بتفاصيلها المستفزة فلامس صدري ضيق يومي مُعتاد، فتحتُ عينيَّ أتأمل وجهي المنعكس على زجاج الباب، رأيتني كما يراني الجميع الآن، شاب في الثالثة والثلاثين بملامح رجل في الخمسين، صارت نفسي هشة تتأثر بتوافه التفاصيل فوجدتْ الكآبة على

وجهي موطنًا، لم أعد وسيمًا كما كنت أسمع، ولا محبوبًا كما كنت أشعر، أتأمل شعيرات بيضاء اقتحمت ذقني قبل أوانها، لم ينتشلني إلا طفلة تبدو في عامها الرابع، طار بالونها من يدها ليصل بين يدىّ فجاءت تأخذه ببراءة، قدمتهُ إليها طالبًا منها دفعه إليّ لنلعب معًا؛ استجابت بفرحة، ينظر إلينا والداها بابتسام ثم نادى عليها والدها:

– تعالِ يا فريدة، كفى شقاوة ولا تضايقي عمكِ.

بادلتُهُ الابتسام:

– لا توجد مضايقة ربنا يحفظها لك، عندي مثلها بالضبط.

وصل المترو، تركته أنتقل بأفكاري إلى "حنين"، ابنتي الملائكية، لوحة إلهية بديعة الصنع ارتسمت لتصبح الراعي الرسمي لابتسامتي، عما قليل ستخطفني طوعًا في دنياها اللذيذة، تنتظرني الآن برفقة عمتها بسمة التي تولتْ أمرها بعد وفاة والدتها قبل أن تكمل عامين، أختي الحبيبة التي لم تُنجب على مدار ثلاثة أعوام زواج ولم تُشعرها يومًا بالحرمان من أي إحساس أو واجب أمومي، بل تسعى للمثالية في تربيتها، تصغرني بعامين وبين يديها أبدو كحنين.

سِرتُ قاصدًا شقة المهندس صلاح الدين مختار، زوج أختي الذي يُعد بمثابة أخي الحقيقي، مهندس بترول تقضي طبيعة

وظيفته التناوب بين أيام عمل محددة مقابل أيام إجازة بعدها، يحب زوجته ويُخلص لها وتبادله ذلك وأكثر، لم تكن مشكلة تأخر الإنجاب عقبة بينهما بل أظهرت معدن علاقتهما الفريدة.

دقائق ووصلتُ للباب الذي يفصلني عن الركن المضيء في الحياة، ضغطت زر الجرس بطريقتي المميزة لتعلم بسمة تلقائيًا أنه أنا، فَتحتْ وقابلتني بملامحها المتناسقة الهادئة وابتسامتها المعتادة:

- كل هذا تأخير يا أستاذ! ألن تراعي أني جائعة وبانتظار سيادتك؟
- جائعة! بذمتكِ ألم تتذوقي من الطعام كل دقيقة؟ اضحكي بهذه الكلمات على صلاح وليس على من عاش معكِ أكثر من ثلاثين عامًا.
- آآه على الظلم وسوء الظن، تظنني مثلك وأفكر بعقلك.

أعرضتُ عنها بعد شدة خفيفة من شعرها لأجد حنين تركض نحوي:

- بابا حبيبي.

حملتها أحصد منها بعض القبلات قبل أن تخبرني بإنجاز هام:

- بابا! لقد أصبحت متفوقة وحفظت الأرقام حتى رقم "كوينتي".

رمقتُ بسمة بشماتة:

- "كوينتي"! هل تتعلمين الهيروغليفية ياحنين؟

ردتْ بسمة وهي ترص الأطباق على المائدة:

- اسمها "تونتي" يا حنين.
- هيا لنأكل يا حلوة، عمتكِ تعلمكِ أشياءً خاطئة.

ردت حنين بعصبية وقد حدَّقتْ فيّ كعدو:

- لا يا بابا، عمتي لا تعلمني شيئًا خاطئًا.

ثم ابتعدتْ لتجلس على أحد كراسي المائدة غاضبة، تركتهما بسبب جوعي الذي تضاعف بعد رؤية الطعام، أنهينا الغداء، ذهبتْ حنين لسبورتها تكتب الأرقام حتى "كوينتي"، واستلقيتُ بجوارها على أحد كراسي الصالة أنتظر بسمة بالقهوة، على الحائط تأملتُ صورة معلقة لصلاح، جسد نحيل ووجه مستدير تُزينه عينان واسعتان، وفم صغير يحمل ابتسامة هادئة تعكس قبول ملامحه، وَقْعُ محبته في نفسي أثار ابتسامتي قبل أن تأتي بسمة وتجلس أمامي:

- ما لك؟ تبدو منزعجًا كالعادة.

حالتي كانت تسمح بالاعتراف بنظرتي الحالية للحياة:

- لا أحب الناس يا بسمة، لا أريد أن أكون مجبرًا على التعامل مع أحد.
- لا أعلم من أين أتتك تلك الكآبة؟ لم تكن كذلك من قبل!

- ألستِ خريجة علم نفس؟ عالجيني.
- حالتك مفاجئة وصعبة ليس لها مقدمات، ولا أرى لها أسبابًا مقنعة.
- لا تهتمي، كيف حال صلاح؟
- بخير، ألا تتصل به؟
- لم أكلمه منذ أيام، أشعر نحوه بتقصير فظيع، سيأكلني عتابًا.
- سيكون محقًا، لو عرفت قدرك عنده ستحدثه كل يوم.
- أنا أيضًا أحبه وأنتِ تعرفين، عامة سأتصل به عندما أصل للبيت، وأنتِ كفاكِ ثرثرة وتجهزي كي تذهبي لحماتك.
- يمكنك ترك حنين معي ولتخرج أنت أو تجلس مع أصحابك قليلًا، إنها تملأ علينا المكان وحماتي تحبها جدًا.
- لا، تكفي الأيام التي أكون مشغولًا فيها وأتركها معكِ، كما أنني لا أريدها أن تشغلكِ عن توصية صلاح ببقائك مع والدته فترة من اليوم لتهتمي بها.
- وهل حنين هي مَن ستشغلني عنها؟ تفكيرك غريب.
- اسمعي الكلام وهيا، أريد الذهاب للبيت كي أستريح، غدًا تملئين لها البيت بالأطفال إن شاء الله.

استقبلتْ كلماتي كشاطئٍ غمرته موجة ثم تلاشت ولكن آثارها لا تزال باقية، اقتربتُ منها أُطوق كتفيها بذراعي:

- بسمة، أعرف أنكِ لا تحبين أجواء الشفقة، ولكنه شيء لم يأتِ أوانه بعد، كنتِ حاملًا قبل ذلك ولم يكن لكِ نصيب أن يتم، ثقي أنها مسألة وقت، وغدًا سأذكركِ.

مسحتْ دمعتين فلتتا وغيَّرتْ مجرى الكلام باتجاه قطعة أرض بمنطقة خالية في وادي حوف، ورثْتُها عن أمي وأوصتني قبل وفاتها ببنائها والعيش فيها:

- أريد أن أعرف لماذا لم تتخذ إجراءً إيجابيًا في الأرض التي من المفترض أن تكون قد بدأت خطوات بنائها منذ فترة؟ ألم تقل لي أنك ستجعل صديقك المهندس إيهاب يراها وتناقشه في التفاصيل؟

الحق أن شغفي ببنائها منزل بحديقة كان متوهجًا على الدوام، وكانت رغبتي في الانعزال بذلك المنزل حلمًا يلائم طبيعتي المحبة للهدوء، كثيرًا ما خططتُ لتكاليف بنائها والبدء في التنفيذ ولو بخطوات تدريجية، مع الوقت أصاب الخمول حلمي ونضب شغفي بلا سبب محدد، بالإضافة لنقطة ربما أجهلُ التعبير عنها كما يجب!

شعور مجهول يغمر صدري لا أدري أهو خوف أم حنين أم اشتياق كلما رأيتها أو تذكرتها أو تحدثتُ عنها!

- سأفعل يا بسمة وأطلب من إيهاب الحضور في أقرب وقت.
- تُكلمه أمامي الآن.

حاولت التنصُّل بانفعال مفتعل:

- بسمة، قلت لك سأكلمه.

صمَّمتْ بحزم:

- الآن.

احتواءً لحالتها النفسية وبكائها منذ قليل غالبتُ شعوري بالأرض واستجبتُ، أمسكتُ هاتفي واتصلت بإيهاب، أخبرني أنه بالإسكندرية وسيعود خلال أسبوع، أغلقتُ معه وقمتُ:

- سيكون هنا خلال أسبوع، أرجوكِ هيا نمشي أريد الذهاب للبيت.

-٢-

على بعد ما يقرب من خمسمائة متر نزلتُ أمام عمارتي من "توكتوك" أزعجتني أغنياته التي راقت لحنين، فتحتُ باب شقتي واختفينا وراءه، هربتْ حنين إلى التلفاز لمراجعة بعض الأغاني والأناشيد التي تحفظها عن ظهر قلب، تركتها لأغير ملابسي ثم حملتُ ملابسها إليها، تحملتني كمنغص لحياتها حتى غيَّرتُ لها، أنهيتُ صنع فنجان قهوتي السادة وأخذته مترددًا بين الذهاب للبلكونة وبين تلفاز حنين، سحبتني قدماي تلقائيًا إلى قطتي الصغيرة، استلقيتُ على كرسي أشاهد حركاتها التلقائية وتقمصها الدقيق لكل ما تُشاهد ولعثمتها في ترديد بعض الأغاني.

مر الوقت تنهال عليَّ طلباتها السخيفة، ألعابها وعرائسها وكل ما يخطر ببالها حتى بدأ الخمول يلامسها، أغلقت التلفاز ومضينا للسرير، نامت بسلام وأنا أتأمل ملامحها التي تُحول كل ما تفعله بي إلى ابتسامات حب عميق.

أمسكتُ هاتفي لأتصل بصلاح محاولًا تحضير بعض الردود على العتاب المستحق الذي سيكويني به، أضاءت شاشة الهاتف بصورته إلى جانب بسمة تتوسطهما حنين حتى أجاب:

- يوسف باشا بنفسه! ما هذا الكرم؟ فيك الخير أنك تتذكرني.
- أعترف بتقصيري ولك الحق في ضربي لو أردت.
- طالما اعترفت بذنبك سامحتك.
- ما أخبارك يا صلاح؟
- بخير، لكن الأيام تشبه بعضها بروتين خانق، صغيرتي الجميلة الأفضل منك وتسأل عني دائمًا ما أخبارها؟
- نامت بعدما أتعبتني.
- حبيبتي فهي من تأخذ لي حقي، أخبرها كلما أتعبتك فسأهديها لعبة جديدة تستحق عينيها.
- ربنا يحفظك لها ولبسمة يا صلاح، لا أعرف كيف يكون شكل حياتي من دونكما!
- ألن تُنزل تتر النهاية لهذا الفيلم الحزين الذي تعيشه!
- الملل فقط.
- لا هي كآبة، أنا وأختك متفقين في الرأي، عامة سآتي خلال أيام ونتحاور براحتنا.

أغلقنا ثم دخلت وارتميتُ بجوار حنين أنتظر احتلال النوم لجسدي، تتنحى عني كل الأحاسيس باستثناء..

شعوري المجهول تجاه الأرض!

-٣-

أيقظني منبه المحمول في السادسة صباحًا بصوت تألفه أذناي كإعلان عن غارة، استغرقتْ قدرتي على النهوض حوالي ثلث ساعة وهي أقصر مدة لتلك القدرة، توجهتُ للحمام أمكثُ به وقتًا زائدًا بسبب كسل مزمن، أيقظتُ حنين واتجهتُ للمطبخ، نصف ساعة كانت كافية للإفطار وارتداء الملابس والخروج لبسمة كي تتسلم حنين.

انطلقتُ للعمل أتوقع بخبرتي أن مدة تأخيري المعتادة ستكون ربع ساعة، وصلتُ أمام بوابة حديدية ضخمة مفتوحة تعلوها لافتة "شركة القاهرة للإنشاءات الحديثة" بقرب ميدان رمسيس، دلفت بناية مكونة من عشرة أدوار أعمل بآخرها محاسب، ركبتُ المصعد الملوث بحادثتي سقوط أودتْ بأصحابها إلى الموت أو الشلل أو إكمال الحياة بعاهة مستديمة، وصلتُ بسلام أمضي إلى مدخل يؤدي إلى غرفتي المبتلاة بدواليب منخفضة يغلب على ألوانها البنية خدوش الصدأ، تكاد تشكو من كثرة الملفات العبقة برائحة الروتين اليومي، يتمسك بسقفها جهاز تكييف لا ينفع ولكن يضر بزمجرته المزعجة، وتضم أربعة مكاتب تحمل أربعة أنواع من البشر.

المكتب الأول: إيمان الزيني

فتاة على مشارف الثلاثينات قد يصعب وصفها بدقة لعدم استيفاء القدرة على تجسيد الشلل، يجتمع على وجهها كل المواصفات التي تدعو إلى الجاذبية من أول نظرة لفتاة، يتملكها طغيان من التعالي وصل إلى إيمانها الجازم بأن البشر جميعًا قد خُلِقوا من أجلِها، لا يجوز لأحد أن يناقشها أو ينصحها إلا إذا طلبتْ واشترطتْ، وفرضًا على الجميع أن يتقبلوا بمنتهى الرضا والسعادة تغيُّر حالاتها المزاجية وردود أفعالها تجاههم أيًا كانت سخافتها.

أكثر من عشرة شهور لا يوجد بيننا مجال للكلام بسبب صداماتنا المتكررة، إن أُجبرتُ على التعامل معها في أمر يخص العمل أفعل كما تفعل.. نبحث عن وسيط.

المكتب الثاني: صبحي أبورواش

شاب في الرابعة والثلاثين تبدأ قصة حياته قبل أن يولد، فعندما كان حيوانًا منويًا كفَّرَ سيئات إخوته فتركوا له بويضة أمهم ليسكنها وحده، عنيف التعامل وبركان يخرج من فوهته الدميمة سموم تقتلك استفزازًا وإزعاجًا، يدعي الثقافة وأخطاؤه الإملائية في كتابة ثلاثة أسطر تكفي للتيقن أن طموحه كان الحصول على محو الأمية وفشل، يدعي التديُّن "وفولدر خاص صبحي" على حاسوبه يكفي للتيقن أنه لا يزال يمارس العادة السرية.

متوسط البدانة قصير الطول ذو شعر مجعد وملامح غير قابلة للوصف، لا يَمَّل من تحويل مسارات المشكلات نحوي ليختلق كل ما يُثبتُ به أفضليته عني.

المكتب الثالث: ولاء رشدي

امرأة في الرابعة والثلاثين، محجبة تملك عينين واسعتين في وجه بيضاوي تسكنه ملامح تبعث قبولًا وراحة، نسخة احتياطية من أختي مع اختلاف نوعية المشاعر، سلّمتْ قلبها إليّ بلا إرادة، وُلِدت مشاعرها نحوي ونمتْ بقلبها كأغصان اللبلاب، ثم خرجت لتلتف حولي عندما أخبرتني بها يومًا، لم يتطور الأمر خاصة وأنها متزوجة وتعول طفلين، بل اكتفتْ بعلمها أني أحترمها وأحترم مشاعرها.

تنفرد بالاهتمام بي بلا أي مبالاة لِما قد يُقال عن معاملتنا الخاصة، فشخصيتها القوية تؤهلها لافتراس من يحاول المساس بها، بالإضافة إلى أنها أفضل منسقة للجمعيات على مستوى الشركة، فما يلجأ إليها متورط في أزمة مادية إلا وتحولت إلى جني مصباح لتنقذه بجمعية سحرية تبذل مجهودًا خارقًا في تنفيذها على أكمل وجه.

المكتب الرابع: يوسف عبد الله

أنا..

قد أكون مخطئًا، أو محقًا، أو حساسًا، أو مريضًا نفسيًا.. ولكني أكره التعامل مع البشر.

دخلتُ وألقيتُ التحية، صفاء منهمكة في مكالمة تليفونية لم ترد، إيمان في عالم آخر مع سماعتيْ هاتفها لم ترد، أما صبحي فقد دوَّى صوته كصفير باخرة ولكن ليس ردًا للسلام:

- يا رب، أكرمنا واجعل أيامنا تمر بخير.

نجح علوّ صوته في لفت انتباه صفاء وإيمان بعد نظرتيْ اشمئزاز، ونجح في حصد أول حسنة مني بعد شتمه في السر، جلستُ على مكتبي المجاور لمكتبه، فتحتُ حاسوبي قبل أن يأتيني صوت صفاء:

- صباح الخير يا يوسف.
- قلتها قبلك ولم تسمعيني.
- آسفة، ابني الصغير يجنن ابني الكبير وكلاهما سيصيباني بالجنون.

ابتسمتُ فأردفَتْ:

- أحضر لك القهوة الآن؟

أومأتُ لها برأسي بالموافقة، خرجتْ من الغرفة لتغسل فنجاني، بدأتُ أرتب مكتبي، يبدو دائمًا كشقة عازب مستهتر، دقائق وامتلأ جو الغرفة برائحة نفاذة، زنجبيل بالقرفة، مشروب إيمان الذي يعد بمثابة "إكسير الحياة" لفوائده التي صدعتنا بأن لا حصر لها، تأثرنا بالرائحة التي لا نطيقها جميعًا فتولَّى صبحي دفَّة الكلام:

- وماذا بعد يا ست إيمان! هل أصبح هذا المشروب ذنبًا نشم رائحته كل يوم؟

ردّتْ بنبرة طبيبة عالمية:

- يا صبحي لا أعرف ما مشكلتك معه؟ لو علمت فوائده لن تكف عن شربه.
- آاه فوائده كثيرة بالفعل، أكثر من فوائد القرض الذي سيخرب بيتي، هل تعلمين البنك ابن المفضوحة حسب لي فوائدًا تُقدر بكم؟

وضعتْ سماعتي هاتفها في أذنيها تجنبًا لثرثرته، لم يشعر بإحراج بل التفتَ إليَّ آملًا أن يُكمل مأساته معي:

- والله يا يوسف أكثر من ضعف المبلغ الذي اقترضته و...

أحْبطتهُ حين انشغلتُ بمكالمة وهمية فانقطع أمله، عادتْ صفاء فانكمش أنفها من الرائحة:

- آه على الزنجبيل بالقرفة، الله يكون في عونك يا إيمان أنك تشربينه كل يوم.

ردَّتْ بما يحوّل الكلام لمسألة مبدأ:

- يا جماعة من غير إحراج أنا أحبه جدًا ولن أمنع عن نفسي شيئًا أحبه من أجل أحد.

أفحمتها صفاء:

- صباحك جميل يا إيمو، اشربي ما تشائين يا حبيبتي ولكن لن تمسكي لساني.

ضحك صبحي ضحكة عالية بلا معنى وهو يصفق بكامل قوة يديه:

- هذا هو الكلام.

لم تكد صفاء تعطيه نصيبه من الرد الفاحم حتى هلَّتْ علينا سكرتيرة المدير منى، جسد بض ومؤخرة تحاول إشعال الإثارة وملامح تتوقع تقليديتها من دون مكياجها المبالغ فيه، مؤهل متوسط وستة وثلاثون عامًا من حب إشباع رغبة "تعليق" الرجال، تنتهز كل فرصة تعامل مع رجل لتُحوِّلها إلى رغبته في إبداء إعجابه بها، علاقتها بالمدير سيدة مع عبد، لا حبًا فيها وإنما بسبب ذلاته التي تُمسكها عليه، مكالمات صوتية مسجلة تدينه بعلاقة غير

مشروعة معها، ينصاع بخنوع لأوامرها، يعلم الجميع ما بينهما ولا يجرؤ أحد على إظهار معلومة.

- يوسف، أستاذ مدحت يطلب رؤيتك.

حان الآن موعد محاضرة التأنيب والالتزام الباهتة.

تَبعتُها وهي تتلوَّى أمامي كمحاولة معتادة لإغراء دائمًا ما يأتي بنتيجة عكسية معي، دخلتُ غرفة تقليدية الترتيب كل ذكرياتي بها رائحة كلمات عديمة الفائدة تصلح حوارًا لمدير في فيلم أربعيني:

- صباح الخير.

ألقيتها بنبرة ليست من القلب، ردَّ تحيتي وخلع نظارته ونظر إليّ بعتاب ثقيل الدم:

- نومك ثقيل وكثير، والدراسات أثبتت أن النوم الكثير يسبب السِمنة والخَرَف.

محاولة كتمي لتنهيدة اختناق فشلتْ، استطرد:

- هل من المفترض الآن اعتبار تحذيراتي لك عن التأخير كلمات ليس لها قيمة؟
- أستاذ مدحت أخبرتك من قبل أن تأخيري أحيانًا يكون خارجًا عن إرادتي بسبب ظروفي العائلية، ولم أطلب منك مجاملتي، طبّق عليَّ خصومات اللائحة ولا تحرج نفسك.

- بذمتك هل تقتنع بما تقول! لو كل موظف أتى متأخرًا بسبب ظروفه كيف سيسير العمل؟ الإدارة الناجحة يا أستاذ لا تتحقق إلا بالتزام الموظفين، حتى الآن لم أتخذ معك إجراءً قانونيًا كي لا تتأذى، ولكن الأمر زاد عن حدّه.
- آسف يا أستاذ مدحت، سأحاول ألّا أتأخر وشكرًا أنك لا تؤذيني.

قام تاركًا مكتبه ليمثل مسلسلًا رديئًا عن النجاح هو مؤلفه وبطله ومخرجه ومعجبه الوحيد.

- أنا يا ابني لا أسكت محاباة لك، ولكني أحاول أن يكون كل موظف في أعلى درجات الالتزام والاجتهاد لأن ذلك سيساعده على النجاح في حياته كلها، أحيانًا أفعل ذلك باللين وأحيانًا بالشدة، لذلك لا تغضب عندما أعنفك فهذا لمصلحتك.
- تمام.
- أتمنى استيعابك لنصائحي، ولا تعدها كلام روتيني من مدير لموظفه.
- أكيد.

عاد يبتلى كرسيه بمؤخرته وارتدى نظارته:

- تفضل على مكتبك.

خرجتُ وأنا ألعن سلطان النوم الذي يجبرني على دفع تلك الضريبة الباهظة، أوقفتني مُنى عنوة عندما اعترضت طريقي لتغريني بغنج صوتها المثير للغثيان وتستعرض حجم نفوذها:

- لن أدعه يضايقك، تناساه ولا تقلق.

جاملتها بابتسامة صفراء فاقع لونها:

- سلمتِ يا منى.
- اقعد أجهز لك فنجانَ قهوة، ليس لديّ عمل الآن.
- قهوتي على مكتبي شكرًا.
- آه، بالتأكيد صفاء سبقتني وجهزتها لك، حسنًا، أعوضها لك في وقت آخر.

تجاهلتُ غمزها ومحاولة اعتقادها بأنها تطوقني بشباكها المهترئة وعدتُ لمكتبي، دخل زميل من إدارة أخرى يعطيني بعض الأوراق الخاصة بطبيعة عملي:

- كيف حالك يا يوسف؟ منذ مدة لست بطبيعتك ولا نراك، كأنك أحببت الانطواء ولا تريد الحديث مع أحد؟

جاملتهُ:

- أبدًا يا جورج، العمل كثير فقط.

اقتحم صبحي حديثنا بلا استئذان، فقد حانت جولتنا الأولى:

- وهل أنت وحدك من يعمل؟ كلنا مطحونون، ولكن لا بد من بعض الكلام والمزاح كي يمر اليوم.

بالطبع لم ينس أن يرمق إيمان بعد كل جملة لإثبات تضامنه معها ضدي.

- صبحي ابتعد عني ووفر كلماتك لنفسك، لم أوجه لك كلامًا فلتكن في حالك.
- ما معنى ابتعد عني؟ هل تهددني مثلًا؟ أنا أقول رأيي فيما يجب أن يكون بين كل الناس ولا أقصدك أنت أو غيرك، لماذا تأخذ الكلام على صدرك؟

تمالكتُ نفسي أحاول السيطرة على غضب تكرر كثيرًا من قبل، غضبٌ آل مصيره إلى مشاجرات متدنية انتهتْ بمحاضرات رديئة عن حب الزملاء والتعاون في مكتب المدير، تدخلَّتْ صفاء لتطفىء فتيلة ديناميت غضبي قبل الانفجار:

- اتركا وجع الدماغ قليلًا، لدي مكالمة هامة.

ثم التفتَتْ إليّ بإيماءة رجاء لإنهاء الموقف على هذ الوضع.

في منتصف اليوم أصابني الملل، إيمان تعمل بهدوء أعصاب ورأسها يتمايل ببطء طربًا مما تسمعه بسماعتيها، وصفاء منهمكة تفترش أمامها أوراقًا مملوءة بجداول جمعياتها، وصبحي أمال شاشة حاسوبه ليخفيها عني وجلس متيبسًا بفم مفتوح فعلمت أنه

في "فولدره" الخاص، رنَّ هاتفي فوجدتُ نجيب غفير منطقة أرضي يتصل، خرجتُ أكلمه:

- أهلًا يا عم نجيب كيف حالك.
- بخير يا أستاذ يوسف، والنبي أريد من سيادتك أن تأتي لحل مشكلة تركيب الباب الخاص بأرضك، الكلاب تتجمع وتدخلها، وبالأمس وجدت بها بعض الأوباش يشربون مخدرات وهددتهم بأني سأبلغ الحكومة.
- حسنًا يا عم نجيب، سآتيك في أقرب وقت.
- لا تتأخر الله يبارك لك، الأرض منعزلة في منطقة بعيدة، وأخشى أن يكون أولاد الكلب هؤلاء يأتون كل يوم وأنا لا أراهم.
- لا تقلق عندما آتي سننهي كل شيء.

أغلقتُ أقاوم ثقل تحمل المسئوليات التي تطرأ فجأة، وأغالب شعوري الغامض بالأرض، لحظات وقطعتْ أفكاري صفاء حين جاءتْ:

- ما لك؟ عيناك حمراوان كأنك لم تنم جيدًا.
- فعلًا.
- تذكر خدماتي، أنقذتك من صاحبك قبل انفجارك فيه.

ابتسمتُ بعدما قالتها.

- يوسف أريد التحدث معك في موضوع، لكن من دون عصبية مثل كل مرة.

تجهمتُ لتوقعي ما تريد، سبقتني إلى الكلام:

- أرأيت؟ قبل أن أتكلم سينقلب وجهك وتأكلني.

عقَّبتُ بانفعال طفيف:

- لو كان يخص صلحي مع إيمان فلا تتعبي نفسك وتتعبيني بشيء لا أريد حدوثه.
- وإن قلت لك من أجل خاطري.
- لا أفهم لماذا لا تملين من الكلام والمحاولة؟
- لأننا في مكتب واحد يا يوسف، لا يجوز أن يستمر خصامكما أكثر من ذلك.
- أنتِ قلبك أبيض وأنا لا.

همَّت بالمواصلة فقاطعتها:

- نهاية الكلام يا صفاء باستطاعتي الصلح معها من أجلك، لكن أمام نفسي سأكون إنسانًا قليل الكرامة، إن رضيتِ بذلك سأذهب إليها وأعتذر منها في الحال.
- تعلم أني لا أقبل لكرامتك ما تكره، كل قصدي فترة مقاطعتكما طالت ولن تظلا طوال العمر متخاصمين.

- ربنا يهيىء ما فيه الخير، أغلقي الموضوع الآن وحضري لي قهوة، دماغي صدَّعت منك.

تركتها ولم أكد أسبقها بخطوة حتى نادتْ:

- يوسف.

وقفت متذمرًا:

- نعم.
- هل تعرف من ستأتي إلى هنا قريبًا لتستلم مني نقود جمعيتها.
- من يا صفاء.

ترددتْ لحظة قبل أن تنطق:

- روان.

لا أدري كيف أملك معجزة تمكنني من منع زلزال يهز كياني بعد سماع هذا الاسم، زلزال يتسبب في فيضان من عذوبة الإحساس يحملني معه لأرضٍ جديدة يخلقها الخيال.

روان هي الشاطىء الذي تحطمتْ على صخوره أفواج المبادئ المُلزمة بضرورة المعرفة الكلية بشخص للوصول للحب.

الاسم الذي يفوح منه عطر السعادة والسكون الذي ترى فيه تحقيق أحلامك.

سبعة وعشرون عامًا أضاءت فيهم الدنيا ولا تزال فيها بمثابة ما يضفيه ضوء القمر على الليل من سحر وبهاء، متوسطة الطول والبدانة وإن كانت أقرب إلى النحافة، تمتلك ما فوق الجمال ببشرةٍ بيضاء مشبعة بحمرة خلابة تظهر كلما ابتسمتْ أو تكلمتْ، وماستين خضراوين يسميهما البشر عينين، يتوسطان رمشين شديدي السواد كجناحي طائر، وشفتين اقتبس مخترع أحمر الشفاه منهما اختراعه، تواريان أسنانًا منمقة، وشعر مبهر ذو إيحاء أنه مبتل دائمًا.

محاسبة تُحضر دكتوراة في إدارة الأعمال، تعمل في إدارة بالدور الثالث، علاقتي بها تبدو سطحية لا تتعدى حدود الزمالة، أما حقيقتها فأمنية أريد أن تتحقق في عالمي، لم أمتلك الجرأة على مصارحتها لأسباب ربما تتعلق بخجلي أو خوفي من رفض مباشر أو ظروفي كرجل متزوج سابقًا وأعول.

- يوسف، يووووسف، يووووووسف.

صفاء تناديني وكأن بيننا مسافة كيلو متر.

- معكِ يا صفاء.
- معي! لا أنت معها.

لا يَخفى شيء مما سبق عن صفاء، مواقف عدة بيني وبين روان تخص العمل أتاحتْ لصفاء التقاط ذبذبات أحاسيسي بالرادار النسائي الخاص بقلب امرأة تحب، حاولتُ الرد بصيغة عادية:

- لست معها ولا مع أحد، هيا ندخل المكتب.
- أكره كثيرًا محاولتك لتجعلني ساذجة أمام أمر تعلم أني أفهمه جيدًا.

لم أعارضها، استطردتْ:

- أنا أعرف لِمَ لا تتحدث معي بحرية في هذ الأمر خاصة، ولكنني وعدتك أن مشاعري لك تخصني وحدي ولن تمنعني أن أتمنى لك السعادة، كما أن مشاعرك نحوها تظهر عليك بوضوح ولا أحتاج اعترافك لي بها يا يوسف.

استسلمتُ للأمر الواقع:

- حسنًا يا صفاء أنتِ تعلمين كل شيء، ماذا سأقول أنا؟
- لماذا لا تواجهها؟

هززتُ رأسي وكتفيّ بعدم المعرفة.

- لا يوجد حل غير مصارحتها يا يوسف، كل ما أنت فيه بالتأكيد لمس قلبها.

قرأتْ في وجهي ضعفًا حاولتُ مداراته بانفعال خفيف:

- ممكن نغير الموضوع؟
- ممكن، ولن نفتحه مرة أخرى، لكن سأسألك سؤالًا وبعد إجابتك سأخبرك بشيء واحد فقط، وأعدك ستكون تلك المرة هي آخر كلامي معك في ذلك الأمر.
- تفضلي يا ستي.
- ما رأيك في إحساسي معك في أي موضوع تناقشنا فيه من قبل؟ وأجب بجدية دون مزاح.
- بنسبة كبيرة تكونين على صواب.
- والله ستوافق، هي أيضًا تراك مختلفًا.

ألقت قنبلتها المسيلة للحيرة وتركتني مع صدى كلماتها التي لاقتْ بداخلي قبولًا..

لا أعلم أهو الواقع أم التمني!

-٤-

بعد ثلاثة أيام كنت أمام مِئة وعشرين مترًا من الأرض مفروشة بالتراب، يحفها أربعة جدران من الطوب الأحمر، ويغطي سقفها عروقًا خشبية مُحكمة التثبيت، بجواري عم نجيب بجلبابه الواسع وهيئته التي تليق برجل تعدى خمسين عامًا من الشقاء والتنقُّل تحت أشعة الشمس، رحبَّ بي وطلب مني الدخول لأرى حال أرضي البائسة، مع أول خطوة للداخل لم أطق رائحة المكان، فضلات حيوانات وقمامة وتخيُّل واقعي للقيام بجريمة دون أن يشعر بها أحد، بدأ شعوري المجهول يتسرب إليّ بكثافة، زاد عليه صوت اهتزاز أغصان شجرة تحركها رياح شديدة يخترق أذنيّ، منعني من سماع نجيب الذي بدا أمامي يُحرك شفتيه فقط، هززتُ رأسي لأستفيق فوصلني ما يقول:

- .... لذلك اتصلت بمعاليك، حرام أن تكون الأرض بهذا المنظر، أزورها وأنظفها يوميًا بلا فائدة.

تجاوزتُ تناقض كلامه بالأمس:

- أنت رجل محترم يا عم نجيب ومشهور بالأمانة.

خرجتُ خلاصًا من الرائحة والمنظر وجاء على إثري، دسستُ يدي في جيبي وأخرجتُ مالًا، وضعتهُ في يده:

- انظر يا رجل يا طيب، هذا المبلغ ثلاثة آلاف جنيهًا، خمسمائة لك وأحضر من ينظف الأرض ثم اتفق مع من سيصنع الباب واعطه دفعة مقدمة، والباقي سأدفعه عندما يتم تركيبه.
- تحرجني والله يا باشا، لا داعي لتعبك خيرك سابق.
- هذا شيء بسيط وحقك يا عم نجيب، المهم عندما آتي المرة القادمة تكون قد أنهيت كل شيء.
- يا باشا لا تقلق واطمئن، سأتعامل معها وكأنها أرضي.

تركته يحصي ما يصلح غنيمة مؤقتة لحين المزيد، نظرتُ للأرض أكرر محاولة تفسير شعوري بها، يعلو عن مجرد إحساس بالوهم، ألمس شيئًا خفيًا، تتنازعني رغبة في القرب منها والبعد عنها في آن واحد، راحة وقلق، خوف وأمان..

أضداد كثيرة، لا أدري لأيها أنحاز!

-٥-

كانتْ السادسة مساءً حين وصلتُ لبسمة، فتحتْ الباب فلاحتْ بابتسامة خفيفة تمنع ابتسامة أشد، دخلتُ بلا أي كلمات في جنبيّ كعادتها، أترقب صمتها الذي يخفي شيئًا، تلفتُّ بحثًا عن حنين قبل أن أرى الطعام جاهزًا على غير العادة، نظرتُ إليها فإذا بها مستقرة على هيئتها:

- ماذا يحدث وأين حنين؟ وما لكِ فرحة بنفسك هكذا؟
- تختبىء وتريدك أن تبحث عنها.
- آآه، أنتما رائقتان وأنا ميت من الجوع، اذهبي وابحثي عنها وعندما تجدينها الحقا بي على الطعام.

قطعتْ طريقي:

- لا، تعثُر عليها أولًا، حلَّفتْني إن وجدتها ستأكل وإن لم تجدها فلن تأكل.
- ياه يا بسمة على مزاحكما، ابتعدي إذن.

درتُ في الشقة أبحث عنها حتى مللتُ، ناديتُها بتوسل:

- اظهري يا حنين فقد أحضرت لك الشوكولاتة التي تحبينها.

لم تستجب ولم يتبق إلا البحث في المطبخ، هممتُ بالدخول فانتصب أمامي فجأة شبح يحمل طفلًا ومسدسًا ويصرخان بصوت أفزعني:

- سلّم نفسك.

انتفضتُ فظهر صلاح يحمل حنين ويضحكان.

- حرام عليك يا صلاح رعبتما أمي.

ترك حنين واحتضنني:

- تماسك يا ابني ماذا تقول البنت على أبيها الآن؟

احتضنته ترحيبًا ثم جاءتني حنين ضاحكة، حملتها وتوجهنا جميعًا للمائدة، فرغنا من الطعام أثناء أحاديث أغلبها عن عمل صلاح، انتقلنا للصالة تاركين حنين تلعب وبسمة تجمع مائدتها.

- أخبرني بأحدث تطوراتك، آخر مرة تحدثنا لاحظت زيادة جرعة الكآبة لديك.
- والله يا صلاح لا أعرف، نفسي لا تطيق شيئًا وأرغب في الانعزال عن الناس.
- يوسف ينبغي أن تواجه نفسك بحساسيتك المفرطة، لو نوعية مشكلاتك هي زملاء العمل والملل من الفراغ فأنت تُجهد نفسك بأشياءٍ تافهة، كلمة مشكلات أكبر من هذا بكثير ربنا يبعدك عنها.

بعقلي كان على حق بشكل قطعي، ولكن بقلبي لم يزِل أثر مشكلاتي "التافهة"، أردف:

- أنت تحتاج لتغيير، لماذا لا تجرب فتح مشروع؟ ربما يشغلك عن حالة فراغك.
- لا لا لا أخبرك بأني لا أطيق أحدًا، فهل سأجلب لنفسي مزيدًا من التعامل مع الناس؟ أيضًا ما معي من مال سو...

قاطعني:

- أخبرتك من قبل آخر شيء تحمل همه هو المال.

حاولتُ مقاطعته لم يوافق واستمر:

- أعلم حساسيتك تجاه هذا الموضوع بصفة خاصة، ولكن من الغباء أن تكون موجودة بيني وبينك.
- ليست حساسية يا صلاح ولا هذا ما أقصد قوله، زوجتك لا ترحمني بسبب بناء الأرض، سأبدأ في ترتيب أحوالي على هذا الوضع خلال الفترة القادمة.

جاءتنا بسمة وهي تحمل القهوة:

- لو وجدت طريقة تناسبك غير عدم الرحمة لفعلتها، ولكنك من الأساس غير مهتم، لقد جعلته يا صلاح يكلم صديقه المهندس إيهاب بالإجبار كي يأخذ الأمر بجدية.

- بالمناسبة كنت هناك بالأمس فقد كلمني نجيب، اتفقنا على تركيب باب للأرض لأن هناك من يدخلها لشرب مخدرات وقرف، اتفقنا وسيتم تركيبه قريبًا.
- والله! تستحق أن نصفق لك إذن.

ألقيت عليها مخدة صغيرة قبل أن يتحدث صلاح:

- بصراحة أنا من يجب أن يشكر بسمة لأنها على صواب، وأكرر لك لا تحمل همًا للمال، خذ ما تشاء ويا سيدي رد ما تأخذ عندما تتيسر أمورك.

استمرت بسمة في نقاري:

- إنه نصاب ولن يرد لك شيئًا، لو حسبت النقود التي استولى عليها مني منذ الصغر سيضطر لبيع شقته كي يسد دينه لي.

ثم غمزتْ بعينها لصلاح فرمقني بجدية زائدة:

- والآن ما حكايتك يا أستاذ؟ ألن تجعلنا نفرح بك قريبًا؟

نظرتُ لبسمة بحاجب مرفوع:

- ربنا يسهل وأجد بنت الحلال.

نظرتْ إليَّ بنفس هيئتي:

- وروان التي حكيت لي عنها قبل ذلك!

تدخل صلاح:

- من روان؟ اسمعني، لو كانت هناك من تقتنع بها فلا تضيع الوقت يا يوسف.

قطع حوارنا فرقعة بالون تلعب به حنين، جاءتْ إلينا تتناول بعض الحلويات التي أحضرها لها صلاح، غاصوا جميعًا في الانشغال ببعضهم أما أنا...

كنتُ منعزلًا مع الغد الذي أتوقع فيه رؤية روان.

-٦-

كانت الساعة تقترب من الحادية عشر حين أنهيتُ إفطاري على نشاز صوت صبحي وهو يدندن مع أغنية مجهولة الهوية، إيمان تتهامس مع صديقة لها تبدو بجوارها كوصيفة لملكة شريرة، وصفاء تتحدث في الهاتف بصوت خفيض وتكرر النظر إليّ، حاولتُ تقمص دور قارىء شفاه لاستنتاج ما تقول وفشلت، دقيقة وجاءتني صامتة.

– ماذا يحدث؟ كررتِ النظر إليّ كثيرًا وأنتِ تتحدثين في الهاتف!

ابتسمتْ ابتسامة ليستْ من القلب:

– روان ستأتي بعد قليل.

ارتبكتُ فلاحظتْ، عادتْ لمكتبها، ربع ساعة وجاءتْ روان، حيَّتْ صفاء بقبلتَيْ قبول متبادل على الخدين، ومثلهما لإيمان لكن كروتين، ثم حيَّتْ صبحي الذي بدا كوردة تفتحتْ بعد ذبولها، ابتسم واعتدل ولم يكن ينقصه إلا أن يبّل أصبعه ببصاقه ليهندم به حواجبه المنكوشة، ثم التقتْ عيناها بعينين لا تراها من آل البشر:

- كيف حالك يا يوسف؟
- الحمد لله يا روان.
- ما أخبار بنتك حنين؟ أعتقد أنها بلغت أربع سنين الآن؟
- أجل، أربع سنين وشهر بالضبط.
- ربنا يحفظها.

ثم ترددتْ قليلًا قبل أن تردف:

- اليوم سأذهب مع ابن أختي للملاهي ومعي بعض التذاكر الزائدة، خذها لو رغبت في اصطحاب حنين وأخبرها بأنها هدية مني.

نظرتُ لصفاء لا إراديًا، ربما من أثر ما قالته عنها في آخر حديث بيننا، وربما لإحساسي بأن ما يحدث تخطيط منها.

- سلمتِ يا روان شكرًا لذوقك.
- العفو إنها هدية بسيطة، وعامة سأتواجد هناك في الساعة السادسة.

أعطتني تذكرتين وعادتْ لصفاء تتحدثان طويلًا، قبل رحيلها تشجعتُ أن أطلب رقم هاتفها بحجة رؤيتها في الملاهي كي تشكرها حنين وتتعرف عليها، استجابتْ ثم غادرتْ، وقفتُ بلا

كلمات حتى غابتْ عن عيني، أنظر بامتنان لصفاء التي مهدَّتْ لي طريقًا لحلم يتحقق، وأشعر بفرحة الفوز بجائزة..

قبل الإعلان عنها رسميًا.

****

أضواء الملاهي البراقة وهيئة الألعاب العالية جعلتْ حنين تكاد تحلق من فرط السعادة، تجولنا وسط زحام وصخب أطفال أرادت حنين مثل كل ما في أيديهم من تسالي وألعاب ورسومات على الأوجه، لم أحرمها وأنا أحدد ما ستلعبه من بعض الألعاب التي تلائم عمرها، في السادسة وخمس دقائق اتصلتُ بروان، أخبرتني بأنها على بوابة الدخول تركن سيارتها، تقابلنا وفي دقائق معدودة كانت ذا مكانة مرموقة في قلب حنين، شَغَلَنا الطفلان عن الانفراد ببعضنا فقلقتُ من ضياع فرصتي، لمحتُ عربة فيشار بجوار لعبة بيت كُرَات تغرق فيها الأطفال:

- هيَّا ندخلهما بيت الكرات ونأكل فيشار.

دخل الطفلان وأغلق مسئول اللعبة الباب عليهما، نظرتُ لروان وهي لا تخلو من ملامح متوترة ونظرات عشوائية لِما حولها، رهبتي من سحرها قائمة ولكن استمرارها يجعلني رجلًا لا يملأ عين امرأة، فقد قام الكل بأدوارهم وبقي دوري.

- شكرا على النزهة الجميلة ياروان، حنين سعيدة جدًا.
- قطعة سكر ما شاء الله والشقاوة تغمرها.

استجمعتُ كل ثباتي:

- روان، في قلبي كلام أود الاعترف لكِ به منذ فترة ولكنني كنت مترددًا.
- أسمعك يا يوسف، رغم توقعي بأن ظروف حياتك وطبيعة شخصيتك هم السبب.

رسالتها بأنها تعلم نبذة غير مختصرة عني جعلتني أنتعش:

- ممكن، كل ما أعرفه أنكِ تسكنينني منذ زمن.
- ولِمَ انتظرت كل ذلك الوقت؟
- الخوف، وجودك بقلبي حتى من دون علمك كان حياة أخرى، لم أكن مستعدًا للمغامرة بخسارتها لأي سبب، أن أظل أحيا بخيالي على أمل الوصول إليكِ أفضل من احتمال ضياع ذلك الأمل لو نطقته بلساني.
- وفي النهاية تكلمت.
- تكلمت بعدما أصبحتُ مطمئنًا أنك لي، لا أتخيل غيركِ معي وبجانبي، إحساسي بك منذ أن لمسني وهو يزداد.

اختلجتْ عيناها وتوردت وجنتاها:

- أحسسته في كل مرة تقابلنا فيها بالشركة، وصفاء أكدته لي بالأمس واليوم، ولولا ثقتي بها وإحساسي بمشاعرك لما خلقت فرصة اليوم.
- الغريب أننا لم نقف مع بعضنا يومًا أكثر من دقيقتين، ولا أدري كيف وصلتِ معي لذلك البعد العميق بقلبي!
- ألم تفكر لو عرفتني بشكل أكبر قد لا أكون المرأة التي في خيالك؟
- لا أعرف هل ستصدقين ما سأقول أم ستشعرين بمبالغة غرضي منها مجرد رومانسية متكررة بالأفلام، بداخلي إحساس دائم بأننا كنا نعرف بعضنا في زمن آخر، ثم عادت روحانا لتتلاقى في ذلك الزمن.

ارتعشتْ بغرابة للحظة! تجمدتْ وزاغتْ عيناها وتيبستْ ملامحها!

رمقتها منكمشًا بقلب يخفق من خوف رأيته غريب التوقيت!!

ثوان وعادتْ لطبيعتها، تنهدتْ بعمق ونظرتْ في عيني بثبات منذ بداية الكلام:

- مستحيل يا يوسف! أنا أيضًا يداهمني ذلك الشعور منذ أول مرة رأيتك فيها.

- فعلًا؟

- حرفيًا.

ثبات عيناها في عيني وهبني نسيان ماسواهما.

- بحبك

ابتسمتْ خجلًا وتوهج وجهها بحمرته الخلابة، زالت حواجزي النفسية وشعرتُ أنها جزء من روحي، حكيت لها عن حياتي السابقة وعن صلاح وبسمة التي سَتُجن من الفرحة عندما تعلم بارتباطي بها، عن رغبتي في بناء الأرض فأعجبتها الفكرة وطلبتْ أن تخطو معي كل خطوات تنفيذها، حدثتني هي أيضا عن حياتها ووالدتها وارتباطهما الوثيق، عن أختها التي تعيش مع زوجها في السعودية، عن عملها والدكتوراة التي تسعى للحصول عليها، بدا أن حديثنا لن ينتهي حتى انتشلنا الطفلان وقد ملَّا من لعبتهما، قضينا وقتًا امتص كدر نفسيتي في الفترة الأخيرة، خرجنا وركبنا سيارتها، دقائق وغرق الطفلان في سبات على المقعد الخلفي، ساد بيننا صمت عذب، أحدثها بنظرات وترد بتنهيدات، مدَّتْ يدها لكاسيت السيارة فخرج صوت أنغام يرافقنا ما تبقى من الطريق:

"سيدي وصالك.. زاد عليَّا حنيني"

-٧-

أمام شقة بسمة وقفتُ أُغالب ابتسامات منبعها توقع رد فعلها عندما تعلم بالخبر المُنتظر، فتحتْ لتجد أمامها فمًا مبتسمًا خرج منه إنسان، تتابعني باندهاش أثناء دخولي:

- ما شاء الله الغزالة رائقة اليوم، ولم تكف عن المزاح معي في الهاتف أثناء قدومك، خير!

ألقيتُ نفسي على كرسي يبدو عليَّ استجمام مُصيِّف، جلستْ مترقبة:

- لا أصدق اختفاء الكآبة المعتادة! فضولي سيقتلني لذا تكلم بسرعة.

اكتفيتُ بوضع يدي على قلبي بهيئة درويش هائم في الملكوت، أرسم بملامحي علامات الهيام، فهمتْ في لحظتها فاتسعتْ عيناها وبدأتْ بهجة عارمة تحتلها:

- حدث؟؟ روان؟؟

أومأت لها برأسي أن نعم، ارتمتْ عليّ تحضنني كأنها لم ترني منذ عشرات السنين، تضمني حتى شعرتُ بحرارة أنفاسها، رفعتُ وجهها فوجدت عينيها تلمعان بدموع:

- لاااا، بكاء وتراجيديا! ما هذه الناس الكئيبة؟

قلتها بمزاح لم يضحكها.

- لا أصدق يا يوسف، كنت أَحمل همَّ ارتباطك، ولم أكن أضغط عليك كي لا تتعب.
- والآن تحققت رغبتكِ، فلا تأخذينا لطريق آخر ودعينا نفرح.

استجابتْ ومسحتْ دموعها، سألتُها عن حنين فأخبرتني أنها نائمة، ثم استفاقتْ وجلستْ أمامي، لم ترحمني حتى سردتُ لها كل ما حدث، أصابتني بإجهاد صوتي ونفد صبري من ولعها بإخراج مصارين التفاصيل، انفعلتُ وحاولتُ عمل استراحة بين شوطي مباراة:

- اهدئي كي لا أمد يدي عليكِ، وقومي حضري لي فنجان قهوة ثم نكمل.
- أخبرني أولًا ماذا فعلت مع المهندس إيهاب، أظن أنه لم يعد لك حجة.

- غدًا، سنتقابل غدًا يا بسمة وما سيقوله سأحكيه لكِ بالضبط، ارحميني ولا تُدخلي كل الأمور ببعضها.

قامت مرغمة تزم شفتيها، تزامن قيامها مع استيقاظ حنين التي جاءت لتأخذ نصيبها من آثار سعادتي.

-٨-

اختلف نمط حياتي بعد غزو روان لها كملكة نبيلة تسعى لنشر الحب والسلام في عالمي، انعكس أثر علاقتي بها على كل من حولي، يملؤني الشغف بها فلم أعد أكترث بالإشمئزاز من إيمان ولا اغتيال صبحي واختفى الغم الساكن أحشائي.

بجوار الأرض وقفتُ متلهفًا لقدوم إيهاب، أجتاز شعوري المعتاد نحوها وأفكر في تفاصيل سرعة بنائها لتجمعني بروان، اتصلت به وقد تأخر:

- أين أنت ولماذا تأخرت يا إيهاب؟

رد بخفة دم لا تزال تسري في كلماته:

- اهدأ ياعم كأن دُخْلتكَ بعد ساعة، دقائق وسأدخل أنا عليك.

- دُخلتي وتدخل عليَّ! مهندس سافل قليل الأدب.

وصل بسيارته وكاد يصدمني بها مزاحًا، ركنها ونزل مقبلًا نحوي بجسد يميزه طوله منذ تعارفنا في مرحلة الثانوية، ووجه بشوش تحيطه لحية مشذبة بعناية، أنهينا سلامًا حارًا قبل أن ندخل،

تجولنا نتحدث مثل كلمات في مسودة عن تفاصيل البناء، وتبادُل عرض الأذواق عن تقسيم المنزل، وتقديرات مبدئية للتكاليف تحبطني أحيانًا، بدأ إيهاب يكوِّن رأيًا مبدئيًا:

- تريد رأيي، المساحة ليست مناسبة لبيت بحديقة، حاول توسيع الأرض.
- معنى كلامك شراء بعض الأمتار الإضافية! كيف وقد ازداد همي بعد أرقام البناء الفلكية التي ذكرتها!

قطعتْ روان حديثنا عندما اتصلتْ، استأذنتُ إيهاب لأرد، أخبرتها بما أفعل فأكدت عليَّ رغبتها:

- لا تتجاهل رغبتي بأن أكون معك في بنائها خطوة بخطوة.
- حاضر يا حبيبتي.
- أردت إخبارك برغبة ماما أن تزورها غدًا في المدرسة، تود التعرف عليك والحديث معك.
- امممم، هل ستطبق عليَّ نظام الحموات؟ تشد شعري وأكسر لها أشياءً صلبة بأسناني كي تطمئن على صحة زوج ابنتها!

ضحكتْ:

- لا تمزح فأنا قلقة رغم توقعي لتفاهم سيحدث بينكما.
- لا داعي للقلق، أخبريها بحضوري في الساعة العاشرة.

أنهى إيهاب جولته بعد تدوين بعض الملاحظات، قررنا الخروج فتقدمني وأنا وراءه، لم أكد أخطو خطوتين حتى مسَّ قدمي اليمنى شعور بجذب شديد، جاهدتُ للإفلات منه ثم هرولتُ بقوة جعلتني أصطدم بإيهاب فسقطنا معًا، تجمدتُ لا أقوى على التحرك، أنظر حولي بهلع كأن حدثًا مروّعًا على وشك الحدوث، ترتجف أطرافي وتهتز الأرض من تحتي وشعوري المجهول بالأرض قد احتلَّ كياني، قام إيهاب مندهشًا مما حدث ينفض ملابسه من التراب:

- ما لك يا ابني هل تعثرت بالهواء؟

ثم ساعدني في النهوض متعجبًا من هيئتي:

- ما لك يا يوسف هل أنت ملبوس؟
- لا أفهم ما الذي حدث يا إيهاب! شعرت بكهرباء أو مغناطيس يجذب قدمي للأسفل!
- كهرباء ومغناطيس! مثلث برمودا جاء هنا مثلًا!

لم أرد، عيناي تتلفت في المكان بخوف فقط، لاحتْ منه نظرة جادة فاقترب من مكان الحادث، بقدمه ظل يضغط بحذر في أماكن متفرقة فلم يحدث شيء، ثم بدأ يقفز يمينًا ويسارًا ليبث الطمأنينة في قلبي وقلبه:

- ها أنا أقفز لك مثل القرد كي ترتاح، هيَّا فلدي العديد من المشاوير، تعال أوصلك في طريقي.

في السيارة كنت محنطًا مثل جثة يودُّ إيهاب الخلاص منها، ملَّ من طمأنتي ومواساتي بكلمات رتيبة عن عدم الخوف من لا شيء، يتوقع أنه تعب جسدي أو نفسي سببه الإجهاد، تخلَّص مني عندما تركتُ سيارته عند أقرب مكان لمنزلي، صعدتُ لشقتي أحاول فك شفرة ما حدث ولم تسعفني أفكاري.

شعور مبهم بأرض + قوة جذب لم تكن تخيلًا كادت أن تبتلعني = (.....)

مع الوقت لامسني هدوء نسبي لم يمنعني من بذل جهد يحل معادلتي بمنطقية، ثم استسلمتُ لتأويل إيهاب وأقنعتُ نفسي المتآكلة به عنوة ولو مؤقتًا، تذكرتُ لقاء والدة روان غدًا فقمتُ أُجهز ما يلزم بخمول قبل أن أستسلم لدش بارد..

ربما تطفىء مياهه أفكاري المشتعلة.

-٩-

في التاسعة صباحًا هيأتُ نفسي كما يليق بعريس ستراه حماته للمرة الأولى، انطلقتُ بتاكسي نحو مدرسة الصرح للغات، أخبرتُ الأمن بموعدي مع مديرة المدرسة، أَمسك أحدهم هاتفًا داخليًا يتأكد فجاءته الموافقة، استقبلتني السكرتيرة وطلبتْ مني الانتظار قليلًا لحين خروج من بالداخل، انقضت خمس دقائق من القلق الحميد حتى حان موعد دخولي إلى غرفة رائعة التنظيم، ديكوراتها توحي بالذوق الرفيع، تقدمتُ نحو مكتب أنيق يجاوره مكتبة متخمة بمجلدات لا يكفي عمري لقراءتها، وتتوسطه امرأة تُشع وقارًا، تصافحنا بابتسامتين:

- أهلًا يا يوسف، تفضل استرح.

جلسنا وأرسلتْ إليَّ رسالة صامتة بأنها تعلم عني أشياءً عندما رفعتْ سماعة هاتف مكتبها، دون سؤالي طلبت لي قهوتي السادة وأخبرتْ السكرتيرة بعدم الإزعاج إن لم يكن أمرًا اضطراريًا، ثوانٍ من الصمت واستراق النظرات مرتْ قبل أن تبدأ الكلام:

- يوسف! لم أطلب لقاءك كي أشاهدك أو أقيمك أو أسألك عن تفاصيل علاقتك بروان، ولا عن تفاصيل خطوبة وزواج، هذا ليس وقته ولا مكانه، طبعًا يهمني وأتمنى أن تكون أفضل من يقدرها ويعرف قيمتها وأكون مطمئنة أن بنتي مع رجل حقيقي يستحقها، لكن ثقتي بها تجعلني غير قلقة من اختيارها، كما أنه لا تشغلني فكرة زواجك السابق ربنا يرحم زوجتك وأن لديك ابنة ربنا يحفظها لك، بالعكس هذا يؤكد لي أن اقتناعها بك مبني على جذور ثابتة في أرضية علاقتكما، وكما حكت لي كل شيء عنك فمن المؤكد حكت لك كل شيء عني وعن علاقتنا.

تنهدتْ ومالت للأمام قليلًا ثم استطردتْ:

- لكن كل ما حكته لك عني مجرد كلام سمعته، لن يصلك بالكيفية التي أريدها إلا عندما يأتي الوقت الذي تُزوج فيه حنين إن شاء الله.
- إن شاء الله.

قلتها بابتسامة لم تكن علاجًا لضربات قلبي التي تتزايد، فهذه الكلمات يبدو بديهيًا أنها تسبق كلمات أهم، أكملتْ:

- أنت هنا الآن لأتحدث معك في نقطتين.

- تفضلي أسمع حضرتك.
- أنا الحياة بالنسبة لي هي مجموعة التجارب التي عشتها، ومن خلالها تكونت بداخلي خبرات أعتبرها مكسبي من الحياة، لا يُشترط أن تكون هي الصواب دومًا لاختلاف أنواع الظروف التي يعيشها الناس، ما عدا شيء واحد راسخ بكياني رأيت كل الناس تتعرض له وتعيشه، أن الحياة أحيانًا لا تسير على الطريق المستقيم الذي رسمناه ورأينا نهايته بعيون خيالنا مهما كانت الظروف ملائمة لذلك، لا أقصد أن يحدث عكسها ولكن قد لا تكون بالرونق الجميل الذي تمنيناه.

تخلَّتْ عن كرسيها قادمة إليَّ، قمتُ احترامًا فطلبتْ مني البقاء على وضعي وجلستْ أمامي:

- يوسف، أنا وروان شيء واحد، لو أصابني مكروه لن تستطيع العيش وأنا مثلها.

صمتتْ لحظة لمعتْ فيها عيناها بإرهاصات دموع ثم أردفتْ:

- إياك أن تكسرها في يوم، ساعتها ستكون قد كسرتنا معًا، أرجوك لا تعتبر ذلك رجاءً، اعتبره توسلًا.

هممتُ بالكلام فقاطعتني:

- أعلم أنك تحبها وستبذل كل ما بوسعك لتسعدها، لكن كلامي من أجل أن تعدني بالحفاظ عليها مهما كانت الظروف ومهما فاجأتكما الحياة.

حاولتُ انتقاء كلمات مزيلة لقلقها:

- لا أعرف ماذا أقول لكن صدقيني أنا من أحتاج لروان أكثر من احتياجها لي، أراها دنيتي كلها، هي من ستسعدني وتسعد ابنتي، إن لم أحافظ عليها وأحميها سأكون غبيًا، أعدك مهما حدث فلن أخذلها.

عبر إليها صدق إحساسي كمطر يروي شعورها بالاطمئنان، رجعتْ بظهرها للكرسي وهي تبتسم براحة، قطع حديثنا دخول الساعي، وضع قهوتي وخرج، شكرتْهُ "حماتي" وهي تقوم عائدة لكرسيها الأول:

- نتكلم في النقطة التانية.
- تفضلي حضرتك.
- علمت امتلاكك لقطعة أرض ستبنيها، فكرة رائعة لم تعجب روان فقط بل أعجبتني شخصيًا رغم علمي بتكلفتها وما ستتخذه من وقت.

- هي بالفعل مكلفة ولكن لا تقلقي، فعندما أنوي سأبيع الشقة مع جمعية كبيرة حينئذ سيكون بيدي ما يوفي بالغرض.
- كل هذا جيد، ولكن قلت لك إن تلك التفاصيل سنناقشها باستفاضة لاحقًا، يوسف من دون مقدمات والد روان رحمه الله ترك لها قدرًا من المال سيكون ملككما، وأعتقد تفهم ما أقصد.

باضطراب فطري ارتسم على ملامحي لنوعية الكلام تلك وهزة رأس توحي بالرفض وصلها الرد.

- يوسف هذا ليس اختبارًا إن رفضت سأفرح وإن قبلت سأتهمك بالطمع، لقد أصبحت واحدًا منَّا، لا أريد أن تكون هناك عقبات مادية وحلَّها بين أيدينا، وطالما أن الثقة موجودة بين كل الأطراف فلا يوجد فرق.
- افهميني حضرتك، أنا أقدر اهتمامكِ وأنكِ لا تتعمدين اختباري أو إحراجي، هو مبدأ عندي خاصة أنني على أرض الواقع جاهز ولن تكون هناك عقبات.

ارتضتْ كلماتي وكأنها مرغمة، هزت رأسها بالموافقة:

- كما ترى، ربنا يوفقكما.

وضعتُ فنجان القهوة على المنضدة وقمتُ:

- اسمحي لي بالانصراف، وأشكر حضرتك على الدعوة الجميلة.
- أنا أيضًا سعيدة بدخول شخص محترم مثلك حياتنا.

تصافحنا وقبل وصولي للباب نادتني بصوت عذب امتص ما تبقى من توتري:

- يوسف، المرة القادمة اختر لي اسم غير حضرتك.
- حاضر.

غادرت مملكتها وأمسكتُ هاتفي لأخبر روان بأحداث اللقاء، وجدتُها تتصل وتسأل بلهفة طالبة بانتظار نتيجة الثانوية العامة:

- هاااا! ما الأخبار؟
- لا أعرف ماذا أقول.
- ماذا تعني؟ هل حدث شيء؟
- روان، كل شيء قسمة ونصيب.
- يا سلام على المزاح السخيف.
- لا أمزح يا ماما، أريد رؤيتكِ الآن.
- يوسف ماذا حدث تكلم بجدية!

- أريد الاعتراف لكِ بدخول إنسانة أخرى إلى قلبي لن أستطيع العيش من دونها، وبما أنكِ الوحيدة التي تعيشين معها فأنتِ من ستنهي لي الموضوع.
- فظيع وربنا، اصبر عليَّ حتى أراك.

-١٠-

اقترب موعد مناقشة روان لرسالة الدكتوراة فتفرغتْ أسبوعًا للاهتمام بمشروعها، لم تمنعنا إجازتها من اللقاء شبه يوميًا، رأيتُ التوقيت مناسبًا لتحقيق رغبتها في رؤية الأرض، أربع مكالمات لم ترد عليهم أصابوني بقلق مراهق لم تأتِ حبيبته للقائه، اتصلتْ بعدها تخبرني بانشغالها مع والدتها في معمل تحاليل لإجراء فحوصات طلبها طبيب موعده غدًا، عرضتُ عليها القدوم فلم تجد داعيًا لقرب المعمل من المنزل، اعتذرتْ عن إلغاء لقائنا فتقبلتُ، أغلقنا ولم أكد أضع الهاتف في جيبي حتى اتصل نجيب:

- مرحبًا يا أستاذ يوسف، أنتظر سيادتك اليوم لتتابع معي تركيب الباب.
- يا سيدي لا يوجد فرق بيني وبينك، أعرف أنك ستهتم بكل التفاصيل أفضل مني.
- لا عافِني الله يبارك لك، لا بد من حضورك ليكون أيضًا الحساب أمام عينيك.

لن يُضيع ذلك الرأسمالي فرصته ليُنعش اقتصاده قليلًا.

- اسمعني إذن يا عم نجيب، ابدأوا العمل من الآن حتى لا نحرق وقتًا، وسآتيك خلال ساعتين.

وصلتُ وقد قام الجميع بمهماتهم وتم تركيب الباب بعد نزيفي حفنة من المال لم أتوقعها، أعطاني نجيب المفتاح وهو يُسمعني أنشودة رثاء عن نفسه التي كادتْ أن تهلك من أجل الحفاظ على أرضي، جزلتُ له العطاء كخليفة يرضي شاعره المقرب ثم رحل، اقتربتُ من الباب أتأمله ربما يُخفف وطأة ضجر ثمنه، اِلتفتُّ للداخل أتذكر حادثتي مع إيهاب، ورغم شعوري المجهول النشط دائمًا أردتُ مواجهة تلك الهالة الغامضة بشجاعة، دخلتُ أتجول وأنا أتشرب محاولة اعتياد شعوري إن لم يكن هناك بدٌ من انتزاعه، اقتربتُ من محيط الحادثة، بحذر ضغطتُ بقدمي كأني ألمس أسدًا لأتأكد من موته، لم يحدث شيء، استجديتُ مزيدًا من الشجاعة وقلدتُ قفز إيهاب كبهلوان وأنا أبتسم، لم يحدث شيء، هدأتْ نفسي بما فعلتُ ورضيت بالخروج أُصنف ما يحدث معي مجرد هراء.

خطوة واحدة كانت كافية ليتكرر الجذب بقوة أشد من المرة السابقة، أفلتُّ بصعوبة وسقطتُ أرضًا، دقيقة مرتْ وأنا على وضعي مذهولًا! قمت بعدها واقتربتُ من الجزء المطبوع عليه أسفل حذائي، بترقب لمسته فكان الجذب طفيفًا، قمتُ أتلفت بحثًا

عن شيء يصلح للحفر، وقعتْ عيناي على قطعة خشب في أحد الأركان، رأيتها مناسبة لكونها تحميني إن كان مصدر الجذب كهرباء تصعقني، أثناء الحفر لاحظتُ انحدارَ الأرض فتتبعتُ نهايته ببصري ولم أستطع تحديده، وصلتُ لمسافة نصف متر، بدأتُ أرى ترابًا أسودًا وحصى بلون أحمر ورمالًا بيضاء مختلطة بطين مطاطي، استمر الوضع بلا جديد حتى كدتُ أيأسُ، مع آخر ضربة اصطدمتْ الخشبة بجسم صلب سقط للأسفل فانهارتْ معه الحفرة طولًا وعرضًا لمسافة تقترب من مترين، أخرجتُ التراب لأرى ماهية الشيء الذي سقط فبرزتْ معالم صندوق لازال مكسوًّا بالتراب يتوسط الحفرة، أصابتني نشوة دفينة منبعها تمني العثور على كنز وازَنَتْ كل مخاوفي، انتبهتُ لباب الأرض المفتوح، أغلقته وعدتُ، نزلتُ للأسفل فوجدتني فوق أرض صخرية، حاولتُ تحريك الصندوق فبدا أنه مثبَّت بالأرض، وضعت قدميّ على جانبيه وأحكمتُ إمساكه وبدأت أشده بقوة فبدأ يتحرك، ارتفع سنتيمترات قليلة فقط وكأنه ملتصق بشيء، نظرتُ أسفله، رأيتهُ مشبوكًا بسلك غليظ أدهشني لمعانه وسُمكه لاتزال بقيته تحت الأرض، حاولتُ محاولات متكررة فكه من أسفل الصندوق أو قطعه أو شده من باطن الأرض فكأنه هو ما يشدني، يئستُ منه فوضعتُ الصندوق أنوي فتحه قبل أن تلمح عيناي نقشًا لا يظهر

كاملًا على أحد جدران الحفرة، أزحتُ التراب من فوقه فانسال بسهولة جعلتني أزيحه من الجانب بأكمله، تسمرتُ بكل حواسي محدقًا بذهول فيما أرى، تُجمد خلايا جسدي قشعريرة تتجدد كل ثانيتين، لوحة فرعونية منقوشة بجودة فائقة ودقة مبهرة لزهرة لوتس حمراء، نظَّفتُ باقي الجدران فظهرتْ لوحات بنفس روعة الأولى، جانب منقوش بورقة بردي ممتلئة برموز مبهمة، وآخر منقوش ببركة صغيرة ممتلئة بسائل أحمر يبدو كدماء، والجانب الأخير منقوش بوجوه فرعونية، خمنتُ وجودي فوق مقبرة فرعونية فهالتني الفكرة، هربتُ بحواسي إلى الصندوق، أزحت التراب من فوقه فظهر لونه، أخضر يتخلله لمعان ومرصع بنقوش فرعونية منحوتة بكفاءة هائلة، تجاوزتُ انبهاري بها أبحث عن طريقة لفتح الصندوق، لاحظتُ مكانًا تَدخُل فيها أصابعي، شددتُ فانفتح، دهمتني رائحة نفاذة أبعدتني عن الصندوق، بدأتْ تسري بداخلي كتيار مياه وجد مجراه، تخللتني حتى صار جسدي ثقيلًا، نهضتُ هلعًا، تذكرت ولأول مرة ما قرأته عن مقابر الفراعنة وأسرارهم والموت بغازاتهم السامة، خرجت من الحفرة بصعوبة واستلقيتُ على الأرض منكمشًا كجنين في بطن أمه، غلبتني غفوة لم تستغرق نصف دقيقة عدتُ بعدها لطبيعتي، بل أنْشط مما كنت وأقل خوفًا، زالت الرائحة فقمت كمارد، تتسلل إليَّ

أشعة الشمس من فتحة بسقف الأرض، جعلت نصف جسدي في الظل والنصف الآخر مغمور بالأشعة، نزلتُ للصندوق ثانيةً وأخرجت محتوياته، سبيكة ذهبية على جانبيها نقش بارز لزهرة لوتس، وورقة بردي ملفوفة بخيط جلدي، وخاتم فوسفوري اللون يكاد أن يضيء، محفور على فصه وجه لا تتضح معالمه، فتَّشتُ الصندوق بحثًا عن جديد ولم أجد، حاولتُ فهم علاقته بالسلك المشبوك به ولم أفهم، كان الليل قد بدأ يعانق النهار ليودعه ويحل محله، لم أحبذ الاستمرار في الظلام لأسباب نفسية، أخذت السبيكة والخاتم وورقة البردي وخرجت من الحفرة، ردمتها ونظفتُ نفسي بأقصى ما أستطيع وخرجت حذرًا ورحلتُ، أشعر بأني أترك ورائي عالمًا جديدًا ولدت فيه الآن.

-١١-

لا أتذكر حين وصلت البيت أني كنت أفكر في شيء سوى عودتي من طريق ضيق خطِر للخروج من غابة مخيفة، عقلي شمعة مطفأة في ظلام، وأسبح مجهدًا في دوامة من مشاعر الفرحة والقلق، رنَّ هاتفي، قبل إخراجه من جيبي انتهى شحنه، تذكرتُ أني إنسان لي ابنة وأخت وحبيبة وأتعايش مع بعض البشر، وضعته في الشاحن دقيقة تمكنني من فتحه، رأيتُ أعدادًا من المكالمات الفائتة تكفي لمقاطعتي من ذويها، اتصلت ببسمة القلقة من عدم الرد وترك حنين، اعتذرتُ بمشوار هام وطلبت أن تبيت معها، وبالمثل عاملتُ روان بعد تملصي من أسئلتها على وعد بالاتصال بها لاحقًا، تركتُ الهاتف يتغذى وعدت لغنيمتي أفحصها، تأملي للسبيكة التي قدَّرتُ وزنها بنصف كيلو يقنع معتوهًا أن شغفي بها يتمنى المزيد، ونظرتي للخاتم تفضح قلقي، أما ورقة البردي كانت مجهولًا قابلًا للرؤية، أزلت خيطها وفتحتها، ممتلئة برسومات فرعونية هي بالتأكيد كلمات، متساوية الأسطر طولًا وعرضًا، يشذ سطرها الأخير في قِصَره وحجمه الكبير وشدة وضوحه، فتحتُ حاسوبي

أستعِن بـ "**Google**"، استغرقتُ وقتًا طويلًا لأترجمها وفي النهاية نجحتُ:

السلام عليك أيها الموعود محبوب الآلهة العظيم، من سيملأ معي الأرض بآثاره العظيمة، ويَسعد الناس بإشراقنا بعد الانتصار على الموت والظفر بالحياة الأبدية، أنت الآن في حضرة حاكم الأرض العظيم عاشمحب، وإني رجل باسل نافع لوطنه، أقمتُ له المجد بقلب محب، وأنت من اختارك أتوم السرمدي للنعيم، رب الأرباب الذي أحبنا وسيجعل حياتنا تمتد، منذ الآن أنا بداخلك لأرشدك، سأبث فيك السَكينة، وأجعل قلبك ذكيًا في كل عمل، أطعني وستجد أن لا أحد يعلو عليك، وأُغدق عليك الآلاف من كل شيء طيب، فهنا المقام الذي ستلذ فيه حياتنا الآتية، واحذر، أي فرد ستبوح له بسرنا ستحل عليه وعلى ذويه اللعنات، سيفنى تحت سطوتي ولن يوجد اسمه في الأرض، وإن وليت ظهرك إلى كلماتي وأفشيت السر فاعلم جيدًا:

الهلاك محقق

"قيصر" عندما تفاجأ بطعنة "بروتس" كان أفضل مني حالًا، على الأقل أدرك مايدور مهما كانت صدمته، أما أنا يخاطبني حاكم أرض عظيم ميت منذ آلاف السنين بكلمات لا أفهم منها غير حصاري بين نعيم وهلاك، غصتُ في قلق لم أطفُ من أعماقه لساعات، أثر كلمة هلاك ألف طبقة خرسانية فوق أثر كلمة نعيم، هلاك يعني عدم رؤية حنين وبسمة وروان وصلاح، هلاك يعني مفاجأة الحرق حيًا أو الإصابة بحمى غامضة أو السقوط فوق خازوق يسكن مؤخرتي حتى أعلى رأسي، هلاك يعني موت! أتحاشى ارتعادي وأعود لمحتوى الرسالة فأصطدم برؤية عقيمة لا تُنجب إلمامًا كاملًا بفحواها!

ما معنى أن نملأ الأرض بالآثار العظيمة والانتصار على الموت والحياة الأبدية؟ كيف يكون بداخلي ليرشدني؟ ومن أتوم السرمدي الذي اختارني للنعيم؟ وهل بالفعل تحذيره من إخبار أحد بأمر المقبرة يعرضه للفناء؟

ألصقتُ اسم عاشمحب على مستطيل البحث فلم تظهر نتيجة تخص العصر الفرعوني من الأساس، أما أتوم فتبينتُ أنه الإله "رع" خالق البشر في معتقدات المصريين القدماء، لم أجد ما يفيدني ففسرتُ كلماته ديباجة يستعرض بها لغته بما يناسب عصره، بقيتُ

في أسر أفكاري الخاصة بالمقبرة، أرى بخيالي كنوزًا تحفزني على الذهاب والحفر الآن، ثم أعتقني القلق ليواجهني بالواقع..

ماذا لو علمتْ الشرطة؟ الاسم فقط ينقبض قلبي بسماعه ولو كنت مواطنًا مثاليًا.

ماذا لو اكتشف الأمر أحد بطريقة ما فقتلني طمعًا؟ وجه آخر للهلاك.

وماذا حتى عن نجاحي في اكتشاف مقبرة أعظم من مقبرة توت عنخ آمون! كيف ولمن أبيعها وأنا في وضع آمن؟

احتمالات تقلب حياتي رأسًا على عقب.

ثَقلتْ عليَّ الأفكار ففكرت في مشورة من يخففها عني فأنا لستُ مؤَهلًا لاحتواء الأمر، كان صلاح وروان هما الأقرب لحمل العبء معي، ولكن بتخيل الموقف بدا لي رأيهما متوقَّعًا، سيجبراني على ما يبقيني آمنًا وسينتهي الأمر بإخبار الشرطة.

كان الوصول لنقطة نهاية أشبه بمحاولة وصول عدَّاء ماراثون ألف كيلو من دون طعام وشراب، ويبدو أن القلق قد بدأ يمل مني فتحسس الهدوء بأنامله ربما يجد مكانًا... ووجد، لوهلة اتهمتُ نفسي بالضعف فلو جاءت الفرصة لأي شاب غيري لَما جَبُنَ مثلي، لماذ أضيع ملايين الجنيهات ولا أستفيد ولو ببعضها؟ أمسكتُ السبيكة التي قدَّرتُ ثمنها بأكثر من مليون جنيه ونصف بسعر بيع الذهب الحالي، كنت على يقين بأن هناك منها المزيد، وبيع سبائك

ذهبية أيسر من بيع مقبرة فرعونية، فتحايلتُ على نفسي المترددة أن تكون مهمتي اقتناء مثلها بما يحقق ثراء يكفيني لشراء أرض أخرى، أبني فيها منزلي وأبيع تلك الأرض لينعم بنعيمها أو يشقى بشقائها غيري كما يشاء، أبتعد عن البشر وأطمئن على مستقبل حنين وغيرها إن أنجبتُ من روان.

أمسكت الرسالة وقرأتها بتمعن أكثر أوازن بين النعيم والهلاك، كانت قراءتي تلك المرة أكثر طموحًا في نجاح جعلني أرغب في إمكانية المحاولة، دقَّت الساعة لتخبرني أنها الثالثة فجرًا، نهضتُ ووضعتُ محتويات الصندوق داخل صندوق صغير تقبع بداخله متعلقات لأم حنين، أزلتُ غبار جسدي بدش سريع واستلقيت على السرير آملًا في النوم، ولكن ما بداخلي كان كرنفالًا يكفي لاحتفال شعب سور الصين العظيم، لا تزال رغبة الإقدام على الاستمرار تتصارع بشراسة مع رغبة التراجع، وحلبة القتال.. هي عقلي.

-١٢-

حين وصلت العمل كنت أشبه بمجذوب، عيناي زائغتان حمراوان، وشعري لفة أسلاك شائكة، وملامحي تائهة لا يثبت بصري على شيء، فضَّلتُ الذهاب للعمل عن القيام بإجازة ضجرًا من عصف الأفكار بي، فأحداثه المتجددة يوميًا قادرة على فصل ذهني ولو مؤقتًا، دخلتُ المكتب وأشرتُ لصفاء بعمل فنجان قهوة، جلست فرأيتهم جميعًا وكأنهم يختبرون حاسة الشم:

- مبروك العطر الجديد يا عم يوسف.

قالها صبحي بسخرية، تعجبتُ فأنا لم أضع عطرًا! نظرتُ لصفاء فبادرتني:

- ليس سيئًا لكنه نفَّاذ.

كانت إيمان أسيرة لسماعتيها، خلعتهما وظلت يداها بالقرب من أذنيها:

- ما هذه الرائحة القوية؟

صاح صبحي:

- برفام جديد وضعه يوسف، لكنه أفضل من الجنزبيل بالقرفة خاصتك.

رمقَتْه بقرف يناسب رؤية فضلاته، وضعتْ سماعتيها على المكتب وقامتْ تخرج، لم تصل للباب حتى لاح عليها وهن، توقفتْ واستندتْ على الحائط تقاوم دوارًا يزداد، انتظرتُ أن تساعدها صفاء فوجدتها قد وضعتْ يديها على المكتب كوسادة لرأسها وبدتْ نائمة، وصبحي مثلها رأسه على المكتب وفمه مفتوح، قمتُ مسرعًا، أمسكتُ إيمان قبل أن تسقط وأسندتها حتى عادتْ لمكتبها، استفاقتْ بمجرد جلوسها وكأن شيئًا لم يكن، فقط أمسكتْ زجاجتها لتشرب وهي تسأل:

- لا أعلم ماذا حدث لجسدي! أصابه ثقل مفاجىء وكدت أسقط!

تولَّى التعليق شريكانا في المكتب حين جاءني صوتهما في آن واحد:

- وأنا أيضًا.

رمقتهم بتوجس! كلماتهم مثل فحيح ثعبان يختبئ في مكان ما! إنها نفس حالتي عندما دهمتني رائحة الصندوق، هل تعلقت الرائحة بي؟ شممت نفسي فلم أجد شيئا! باركتُ غموضًا جديدًا

سينضم لأقرانه استمرارًا في نهشي! وضعتْ صفاء القهوة على مكتبي وهي تسألني عن هيئتي المشردة؛ فبررتُ بقلة النوم، أنهيت القهوة وقمت استعدادًا للخروج لأتصل بروان، منذ ارتباطنا أتحاشى محادثتها أمام صفاء تقديرًا، قبل الوصول للباب صفعني نداءٌ لم أسمعه منذ ما يقرب من عام:

- يوسف.

التفتُ لها:

- شكرًا على مساعدتك لي.

اكتفيتُ بهز رأسي امتنانًا وتركتُ ورائي صفاء بنظرة أمل في صلح ترغبه، وصبحي كوَّر قبضته ودَبَّ بها على المكتب دَبَّة حقد خوفًا من عودة مياهي إلى مجاري إيمان.

أنهيتُ مكالمتي الروتينية الأولى من نوعها مع روان، كل هدفي فيها إجابات تعفيني من ثرثرة تغيري الملحوظ، قررتُ العودة قبل أن ألمح إيمان خارج المكتب تحاول الدخول ويد صفاء تدفعها للخارج، آه يا صفاء! عندما أخبرتكِ أن تسعين بالمِئة من رؤيتكِ لِما يُلائم مصلحتي صحيح فما تفعليه الآن هو العشرة بالمئة الخاطئة، أضاءتْ في خيالي شاشة عرض سينما تعرض مشهدًا كان آخر عهدي بإيمان، عندما حوصرت بمشكلة كبيرة تخص العمل،

فانعزلتْ ونفتْ نفسها، رأيتُ منها نظرة تخلي الجميع عنها، رغم خلافي معها حاولتُ بعد تردد قاتل أن أهديها بعض الطمأنينة، استجابتْ وأحسستُ منها بالارتياح لِما أفعل والإشارة بالتقدم، ولم أكن أعلم أني أمام قائد محنك يسحب عدوه بدهاء ليتمكن من إفنائه، فما هي إلا لحظة نطقتُ فيها وأنا أبدو كحمامة سلام رقيقة لا ينقصني إلا غصن زيتون بفمي:

- هاا أصبحتِ أفضل أم سنظل نحرق دمَّنا هباءً!

إلا وانتصب أمامي عملاق تسعون بالمئة من تكوينه الجسدي حنجرة:

- حرام عليكم اتركوني في حالي ماذا تريدون مني! لا أريد مساعدة من أحد ولا يخاف عليَّ أحد، يارب أموت لترتاح كل الناس مني وأرتاح منهم.

صيغة الجمع التي كانت تتحدث بها، ونظراتها لمن حولها أثناء "تنعيرها" هذا؛ لم يكن يدع مجالًا للشك بأني مجرد كبش فداء لرسم صورة أمام الجميع عن شخصيتها المميزة التي تتمرد على الكوكب بمن فيه، لم يكن رد فعلي إلا كزة أسنان كادت تودي بها، ودعاء إلى الله أن يستجب لجملتها الأخيرة.

جاءتني سلطانة النرجسية:

- يوسف ممكن نتكلم؟

لم أرغب، فأنا بصدد الدخول لكهف به تنين سيقذفني بلهيبه، ولكن لم أكن أرغب أيضًا في دور شرير القصة الذي ستلقي صفاء الذنب عليه.

- ممكن يا إيمان.

بدأتْ بداية تليق بها:

- أنا لا أرى سببًا مقنعًا لمقاطعتك لي بهذا الشكل الغريب، لم أقترف ما يستوجب ذلك، وأنت تعرف كرامتي لا تسمح لي بالكلام مع من يتجاهلني دون مقدمات.
- طالما ترين نفسكِ على صواب فأكملي كما أنتِ.
- يوسف من فضلك، لماذا تَعدُّني الخاطئة مئة بالمئة، ليس معنى قيامي برد فعل معين في وقت معين أن هذا يستدعي الخصام، قد يكون عيبًا مثل كل البشر، أنت بك عيوب وأنا بي عيوب.

اعترافها الأخير كان سبقًا صحفيًا:

- لا أصدق اعترافك بعيوبك! حاولي تصليحها يا إيمان.

حان وقت انفصام شخصيتها، حضرتْ إيمان المقهورة:

- أحاول دائمًا، وأكثر ما أحاول معالجته تواضعي الذي يجعلني أسمح لأي شخص بالتقرب مني ثم يتجاوز حدوده معي.

لا أعرف أكان شلل مؤقت ما أحسست به أم ماذا! ولكن لأتفادى الشلل الدائم عبرتُ بسرعة الضوء حدود النقاش محاولًا اختصاره:

- ماذا تريدين يا إيمان؟ كل ما تطلبينه سأنفذه دون عتاب أو جدال.

صفعتني بثقة مبتذلة:

- لا أريد شيئًا وكلامي ليس معناه أني أتوسل إليك لنتصالح، كنت أوضح لك موقفي لأن صفاء لا تكف عن الحديث معي في موضوعك هذا، بعد إذنك.

تركتني متحفزًا لخنقها ومشيتْ أمامي ككتلة بها ثقل دم العالم، شكرتُ الله أني لم أكن أملك سلاحًا في تلك اللحظة، وإلا كانت رؤية حنين هي آخر ما سأطلبه قبل تنفيذ حكم إعدامي بعد قتل إيمان...

وربما قتْل صفاء.

-١٣-

انتهي العمل بعد نجاحه في عملية فصل ذهني المؤقتة، أقف في المترو بعقل رحَّال تارة إلى أسرتي وتارة إلى روان وتارة إلى عالمي الجديد، أُلزم نفسي بضرورة اتخاذ قرار قاطع يُنهي الأمر، في تلك اللحظة كانتْ كفة الرغبة في الاستمرار أثقل بكثير من كفة رغبة التوقف، ولم يؤثر كل حدث غامض يحدث معي على التقهقر، بل بدأ الطموح يحلق بي لآفاق بعيدة أتمناها، أُقنع نفسي أن المغامرة مطلوبة لتحقيق نجاح كبير كالحصول على أموال مقبرة فرعونية، والأمان موجود إن رأيتُ خطرًا يوجب التراجع، وعلى رغم اندهاشي لوهلة من هذا الفكر الغريب على طبيعتي وكأن شخص آخر هو من يفكر بداخلي؛ كنت قد وصلت لحالة تصنفني جبانًا غبيًا لو ضاعت فرصة كتلك من يدي.

نزلت من المترو بعد مرور ساعة من الهدوء الخارجي والإزعاج الداخلي، وصلتُ لبسمة وتخطيتُ بصعوبة وقلق آثار رائحتي عليها وعلى حنين تفاديًا لحيرة جديدة، خاصة بعد قراري شبه النهائي بالعودة إلى المقبرة، لا أعلم من أين تأتيني تلك الراحة

النفسية التي تتدفق مع الوقت! وصل الأمر أنْ أخذتُ الهاتف من بسمة وهي تُحدث صلاح لأكلمه بمزاج رائق:

- حبيبي يا صلاح..... الحمد لله..... تأتي بالسلامة ولكن لا تنس إحضار بعض البترول..... هل تريد بسمة أم مللتُ منها كما تخبرني دائمًا.

أخذتْ مني الهاتف بعد ضربة على كتفي لتكمل مكالمتها، ضممتُ حنين لصدري أحاول تعويض يومين تقريبًا لم أرها فيهما، أنهتْ بسمة مكالمتها:

- أأَخبرك أنه ملَّ مني؟! أنت محروم من طعام اليوم، أكثر ما تحبه، جلاش باللحمة المفرومة.

تركتُ حنين وقمت متحفزًا:

- نعم! تحرمين مَن يا ماما، سيطير فيها رقاب.
- يا سلام، إذن فلنحكِّم حنين وما تقوله سيُنفذ، يأكل أم لا يا حنونتي؟

تواطأتْ غزالتي الصغيرة مع عمتها:

- لن يأخذ ولا واحدة.
- حبيبتي يا روحي، هيا نأكل في المطبخ ونتركه هنا وحيدًا.

تشابكتْ أيديهما وركضتا نحو المطبخ بحركة طفولية، دخلتُ عالمهما وركضتُ خلفهما، تعثرتُ بالسجادة وترنحتُ كإطار انفلت من سيارة سباق حتى سبقتهما وانكفأتُ على وجهي، نظرتُ إليهما غيظًا وهما غارقتان في الضحك.

-١٤-

بدأ التفكير الجاد يفرض نفسه على خطواتي القادمة بعدما استتبَّ الأمر على دخوله حيز التنفيذ، فالخيوط التي سأنسجها لصنع خطة مُحكمة داخل عالمي الجديد وخارجه؛ هي التي سترسخ بداخلي أعمدة الثقة والأمان، أستمد صنعها من تفاؤلي بالنجاح وحتى من الخطورة التي تهب نسماتها فأتنفسها رغمًا عني، كل تفصيلة مهما صغرتْ يجب أخذها في الاعتبار، وكل احتمال يجب التفكير فيه بجدية، فأي غفوة لأي سبب قد تؤدي لكارثة ولو كانت عن غير عمد، لن يشفع لي الحظ في النجاة من مصيبة ربما تكون الموت!! وما أفظع هذا الخاطر، يجعلني قاب قوسين أو أدنى من التراجع، ولكن بالعقل فقط، فالخوف يقف على حافة كياني ولا يتعمق، أما قلبي فيهفو كل لحظة للبدء ويسافر بي لِما بعد تحقيق الحلم.

بنهاية إحاطة الأمر من كل جوانبه وجدتُ أن هناك خطوتين رئيسيتين تجعلني في الطريق الصحيح..

الخطوة الأولى:

حياتي مع من حولي، أوقات اختفائي أثناء الحفر ستشكل علامات استفهام ستحتاج إجابات جديدة مستمرة، ربما كثرة اختلافها تثير الشك إن لم تكن مقنعة، فأضاءتْ عقلي فكرة جاءتني بالإلهام تخدمني في أكثر من جانب، شهر إجازة من العمل لأتفرغ للحفر حتى حلول المساء، والعمل في مكان ما فترة المساء فضَّلتُ أن يكون له علاقة بما أفعل، كان الأقرب بازارًا للتحف الفرعونية، بالتأكيد سأسمع في ذلك المحيط حكايات تنتشر كأعمدة إنارة في عالمي الجديد، بالإضافة إلى السؤال براحة عما أشاء عندما تتوطد علاقتي بمن سأتعامل معهم، أما أكبر فائدة قد تتحقق فهي العثور على وسيط لبيع السبائك، وربما يتطور الأمر بالعثور على وسيط لمن يشتري المقبرة بأكملها.

نجحتُ في عمل الإجازة بمساعدة لازمة من منى بعد إجباري على لقاءٍ في سيارتها التي تحمل رقم "(م ح ن – ولا داعي للأرقام)"، كلفني ثمنها قبلة لو علمتْ بها روان ستسلخني حيًا قبل شقي لنصفين، أخبرتُ الجميع بنيتي بحجة التفكير في فتح مشروع بازار فرعوني في مكان جيد، وأن الإجازة ضرورية لأتعلم خباياه، وأنه سيتوجب عليَّ الالتزام أكبر فترة ممكنة في اليوم بعملي الجديد الذي سيأخذني منهم بنسبة كبيرة، أقنعهم أن هدفي الحصول على دَخْل إضافي من أجل بناء الأرض وتحسين المستوى

المادي عامة، وبعد دوامة من النقاشات والاستفسارات، وتفاوت ردود الأفعال بين الرفض وبين المحاولة.. تمت الموافقة.

الخطوة الثانية:

محاولة الإلمام بأكبر قدر من تفاصيل ذلك الزمن السحيق منعًا للشعور بالتقصير، فالمعلومات التي سأجمعها لا شك أن أثرها سيكون إيجابيًا في فهم ما أنا مقبل عليه، وربما تحل ألغازًا قد تباغتني، حفزتني نشوة النجاح على التهام التاريخ الفرعونى، أتأنَّى في قراءة ما أراه مفيدًا، وأتجاوز بنظرة سريعة ما أراه معلومات عامة، وصل تحفزي لمحاولة تعلم اللغة الهيروغليفية اتقاءً لعقبة قد تواجهني.

عالم غريب لا تحديد مُكتمل لهويته التى يغلِب عليها الغموض، وبحكم اعتبار ما أقرأه سلاح يقوي شأني في معركة قادمة؛ كان الاهتمام منصبًا على حماية مقابرهم بطرق علمية أو بالسحر وأعاجيبه وارتباط ذلك بأكثر ما شغلني... لعنة الفراعنة!

فالانسياق مع قراءة قصصها وتفسيراتها هو لعنة وحده، لعنة ما فرقت بين اللصوص والعمال وعلماء الآثار، لم يَسْلَم منها مكتشفي مقبرة توت عنخ آمون وحتى سفينة تيتانيك، حصر سببها العلماء بين أنواع من الفطريات والطفيليات السامة والبكتريا

القاتلة زُرِعت في المقابر وتم إطلاقها في الهواء لتقتل كل من تسول له نفسه اختلاسها، وبين تسخير الجن للدفاع عنها بدليل أنهم كانوا من أقوى سحرة العالم.

لم أعثر على وسيلة أمان إلا فيما يُروى عن الرسائل التي تركها المصريون القدماء من نصوص لتهديد اللصوص من السطو على مقابرهم، فكانتْ ثغرة الاطمئنان الوحيدة هي رسالة السماح بفتح المقبرة، ولكن هل يكفي ذلك لتخطئنى أي كوارث منتظرة؟ إن كانت له القدرة على إقناعي بعدم وجود مفاجأة مميتة قد تعمَّد تجهيزها لمن يفتح مقبرته، فكيف السبيل للنجاة من مفاجأة لا علاقة له بها؟ لذا قررتُ مع جمع أدوات الحفر جمع أدوات للوقاية مما يساعدنى في تغطية وجهي وعينيّ وكل جزء عارٍ في جسدي، وضعتها في الأرض مع مستلزمات لاعلاقة لها بفتح المقبرة؛ مرواغة لنجيب الذي أخبرته أنها كراكيب أضعها هنا مؤقتًا لأني بصدد بيع الشقة.

-١٥-

أنعشتني منطقة الحسين بمبانيها العتيقة وعبق جوها الذي تخللني وأنا أتجول بين أماكن البازارات، لا أعتمد إلا على انطباع شخصي في اختيار شخص مناسب لمهمتي، وقعتْ عيناي على كهل ينهي صلاته بداخل أحد البازارات، متوسط الطول يميل إلى البدانة، أصلع من منتصف رأسه وملامحه هادئة مرصعة بعلامة الصلاة، وقفتُ أمام واجهة المحل الزجاجية، أتأمل تماثيلًا وقطعًا فرعونية مرصوصة بتناسق، تلاقتْ عينانا فجاء يرحب بي كعادته مع الزبائن، عرض عليَّ الدخول فاستجبتُ، انتابته أعراض شم رائحتي ثم استفاق معتذرًا بدوار مفاجيء وسألني:

- حضرتك تبحث عن هدية لشخص أم تحفة لبيت أو مكتب؟

جاهدتُ ترددي لاكتساب ثقته:

- بصراحة لا أريد الشراء.

ضاقت عيناه دلالة على عدم الفهم، أردفتُ:

- أنوي فتح مشروع بازار وأبحث عن مكان أعمل به دون مقابل، ساعات معينة خلال اليوم لأكتسب خبرة.

رحبَّ بي ترحيبًا بدا لي مبالغًا فيه قياسًا على غريب أول مرة يراه، أجلسني وتعارفنا وطلب لي قهوة وبدأ يتكلم:

- وأين تنوي افتتاحه يا أستاذ يوسف؟ أم نرفع التكليف وأقول لك يوسف وتقول لي سعد، أنت في سن أخي الأصغر.
- فلنرفع التكليف يا سعد، لم أحدد بعد، قد أفتتحه عندي في حلوان أو ممكن هنا.
- ولماذا مشروع بازار هو ما اخترته؟
- أحد أصدقائي أخبرني بعائده المادي الكبير، بالإضافة لحبي الشخصي لأجواء الفراعنة.
- طالما ستعمل ما تحب ربنا سيكرمك إن شاء الله، المهم أن تسعى وتجتهد وتتوكل على الله أنه صاحب التوفيق والرزق.

ثم مد يده وأمسك مفكرة وقلمًا وأعطاهما لي:

- وأنا من ناحيتي لن أقصر معك وسأحاول أن أسقيك الصنعة، احتفظ بالمفكرة والقلم معك واكتب كل ما تخشى نسيانه.
- من غير إحراج يا سعد لو تعليمي يتطلب دفع بعض النقـــــ...

قاطعني بعتاب:

- يا رجل، يا رجل عيب ما ستقول لقد أصبحنا أخوة، ثم هل تعتقد أنك ستقعد مرتاحًا؟ سوف تحمل بضائعًا وتضعها على الرفوف وتستلم وتنظف وتتعامل مع زبائن، يعني شقاء، أنا من يتوجب عليَّ الدفع لك.

استطاع الرجل احتوائي مثل قطة تضم وليدها، مع الوقت بدأ يُوسع دائرة النقاش، أسلوبه في التعامل وإدارته للحديث كشفت أمامي شخصية سلسة مرحة، إن تحدث عن الدين كان إمامًا، وإن تحدث عن الأمور العامة كان مثقفًا، وإن تحدث عن الخلاعة كان ماجنًا، حكى لي عن حياته الخاصة دون حرج، عمره أربعة وأربعون عامًا خريج سياحة وفنادق، متزوج من اثنتين ويعول بنتين، ظل قبوله يتدفق حتى أحسستُ بأنه صديق مخلص أكاد أن أُشركه معي في أمر المقبرة الآن.

- أتحب البدء منذ اليوم أم نجعلها جلسة تعارف فقط يا عم يوسف؟
- نجعلها تعارف، ومن الغد سآتيك بعض أيام الأسبوع من الساعة السادسة أو السابعة، أعمل لمدة خمس أو ست ساعات على حسب الظروف.
- على رأسي يا حبيبي أي وقت يناسبك تعال، ولو تريد مفتاحًا للمحل خذ، فربما يحدث ظرف وتجد المحل مغلقًا.

حاول فك نسخة مفتاح من ميداليته فمنعته:

- لا لا الموضوع لا يستدعي ذلك، يكفي ذوقك يا سعد، لم أكن أتوقع بساطتك وتعاونك بهذا الشكل.
- ابن الناس يظهر بوضوح يا يوسف، وأنت ابن ناس حقيقي.

شكرته وأبديتُ له امتناني ثم تركته على اتفاقنا باللقاء قريبًا، أخطو براحة نفسية، وأشاهد ما حولي بمتعة، وأفكر بتفاؤل في الأيام القادمة.. نقطة تحول دنياي.

-١٦-

في الثامنة صباحًا كنت بجوار المقبرة، أحمل فأسًا مثل فلاح نشيط يستعد لاستصلاح أرض الصحراء الكبرى، حول قدميّ عدتي من مدق للأجسام الصلبة وكريك وجِوالات أضع بها التراب، وسلم أتسلقه إن كان العمق كبيرًا، مرتديًا أدوات الوقاية، خوذة ونظارة وقفازين وكمامة، تخيلت نفسي رائد فضاء قبيح الهيئة رحلته لباطن الأرض، بدأتُ بحفر ما ردمته في المرة السابقة حتى وصلت لمربعي الأول، كما هو بصندوقه وسلكه ولوحات جدرانه، نحيّتُ الصندوق جانبًا وتحسستُ أرضه الصخرية ثم أمسكتُ المدق إيذانًا بالتكسير، استجمعتُ عزم قوتي ورفعتُ يدي وضربتُ..

تَفتتتْ الصخرة من تحتي ككتلة رمال، سقطتُ للأسفل في ثانيتين تخيلتُ فيهما خازوقًا بانتظاري، قمتُ وأنا أتوقع تكسر عظامي فوجدتني سالمًا، انتبهتُ لوقوعي فوق مربع رملي هو ما حمى جسدي، حوله أدوات الوقاية التي هجرتني فلم أرغب بارتدائها مرة أخرى، لم تمنعني الإضاءة الخافتة قليلًا من رؤية

المكان، غرفة مستطيلة جدرانها لوحات بروعة لوحات المربع الصغير، أرضيتها صخرية باستثناء المربع الرملي الذي وقعت فيه، طولها يعلوني بسنتيمترات قليلة، لو قفزتُ لارتطم رأسي بسقفها، بأحد أركانها أشياء لم أميز منها إلا سلم، وفي منتصفها باب منقوش برسومات تكاد تكون حقيقية من فرط بريقها، على كل درفة من درفتيه رسمة تطابق الأخرى، كرسي عرش ذهبي بديع الألوان موضوع بين صولجين من الذهب، أسفل الباب صندوق أكبر حجمًا من الصندوق السابق وإن كان نفس شكله.

بغريزة الأمان نظرتُ للعلوّ الذي سقطتُ منه أفكر في كيفية الخروج، قادتني قدماي لسلم الغرفة، عاينتهُ فوجدتهُ نحيلًا متينًا قبل أن تتسع عيناي من الرعب وأنا أنظر بالقرب منه إلى مجموعة هياكل عظمية تجاور بعضها! جعلتني ألتصق بالحائط هلعًا كفريسة بلا مهرب تنتظر انقضاض تمساح! خمنتهم مجموعة لصوص هالكين، تمالكتُ أعصابي وابتعدتُ مهرولًا تحت فتحة السقف، أفاوض نفسي بين الخروج وبين الذهاب للباب والصندوق، ملأني وقع صدى مجهول بالميْل للاختيار الثاني، تقدمتُ نحو الباب ببطء منبهرًا يزداد إعجابي بسحره كلما اقتربتُ، لا أصدق أن مثله قد يصنعه أحد بعد آلاف السنين لا قبل آلاف السنين! لمسته بحذر وتحسسته برفق كناسك يؤدي شعيرة دينية، حاولتُ دفعه بقوة

تزداد تدريجيًا لعله يُفتح فلم يتحرك، يئستُ منه فجثوتُ على ركبتيّ وأمسكتُ الصندوق، زادني غموضًا وجود سلك آخر ملتصق به تنتهي رؤيتى له أسفل الباب، جرَّبتُ محاولات قطعه أو فكه من الصندوق أو شده من تحت الباب بلا فائدة، عدت لفتح الصندوق بنفس طريقة فتح أخيه الصغير، ترقد بداخله سبيكة ذهبية أكبر من السابقة ورسالة جديدة وقلادة جلدية مغطاة.

أمسكتُ القلادة أتأملها وفتحت غطاءها لأرى ما أفزعني فرميتها وزحفت للخلف لا إراديًا، أنظر حولي بشعور الغرق في بحر ظلمات، دقائق ليست بالقليلة مرت تشوَّشتُ فيها آلاف المرات، استجديتُ هدوءًا جعلني أقترب من القلادة لأمسكها ثانيةً، فبالتأكيد لن أرى ما رأيته مرة أخرى، فتحتُ الغطاء فكان الجنون لا يزال موجودًا، نَحْتٌ دقيق لامرأة فرعونية مشقوق لنصفين يحمل وجه صفاء، نصف مبتسم ونصف يموت، أُغمض عيني وأفتحها، أضرب نفسي وأقرصها، أَدُبُّ بقبضتي على الأض بقوة لعلها تبتلعني ولكن... في النهاية هي صفاء، حاولت استنباط أي منطق فكنت حمارًا يحمل أسفارًا، عدت أفتش الصندوق وأبحث في الغرفة بكاملها –باستثناء منطقة الهياكل العظمية– عن شيء لا أعلم ما هو! فلا شيء سيفسر ما يحدث تفسيرًا يجعلني أستمر في هذا المجهول سوى... الرسالة، تذكرتها فكانت طوق

نجاة، وسيلة الاتصال بيني وبين حاكم الأرض العظيم، أخذتُ السبيكة والرسالة والقلادة وهممتُ بالرحيل، تذكرت مكان السلم فأحبطني من إحضاره معرفتي بجيرانه، خمسة أموات ستدب الروح فيهم عند اقترابي من السلم لينهشونني، هذا ما ظللتُ أتخيله وأُومن بحدوثه لِما يقرب من ساعة، واجهتُ نفسي بأن بديل ذلك هو الموت وقوفًا في مكاني فتشجعتُ، التصقتُ بحائط يوصلني للسلم بعيدًا عن الموتى، أمشي ببطء مَن يخاف من إيقاظ ديناصور، وصلتُ لطرف السلم فأمسكته وجريتُ بسرعة فهد، وضعته أسفل الفتحة وتسلقته وفي لحظات كنت بالخارج، جمعتُ عدتي وأعدتها لمكانها بعد علمي بعدم أهميتها القصوي على الأقل في الوقت الحالي، داريتُ الحفرة بأحد الحِوالات ونثرت فوقه التراب حتى صارت جزءًا لا يختلف عن باقي الأرض.. ورحلتُ.

-١٧-

حتى وصلت شقتي لم يكن يسيطر على أكبر مساحة من تفكيري سوى القلادة، لا أصدق هذا التطابق الرهيب في الشبه بين المرأة الفرعونية وصفاء! صدفة أم ماذا؟ وضعت السبيكة بجوار أختها الصغرى وأمسكت الرسالة، نزعتُ خيطها وفتحت الحاسوب تمهيدًا لترجمتها، رنَّ الهاتف فلمحتُ على شاشته اسم بسمة، لم يكن لديَّ رغبة لأي حديث خارجي، جعلتُ الهاتف على وضع الصامت وبدأتُ خطوات ترجمة الرسالة:

إني أمضي معك اليوم وروحي معك في حلم كبير، أنت من دوني لا تعرف ما ينتظرك من الموت أو الحياة، ومعي ستوهب عمرًا طويلًا حسنًا حتى نبلغ العلا، إني مثقل أكثر مما يجب ولكني أتخفف بذكر يوم الخلاص، حينما نمر أمام الإله أتوم تحت عرشه العالي، ليمنحنا إدارة جميع الأرض، سأكون فرحًا سعيدًا كل يوم، وأنت ستكون ممدوحًا مرات يخطئها العدُّ، سنناطح السماء في ارتفاعها، والأرض في اتساعها، ضَعْ كلماتي في أذنيك لتجد قلبك يسرع إلى مكان يعرفه، إياك بالتراخي وإلا فالمصير هو الخراب، إن لم

تخضع لأوامري سيحيق العقاب بمن تحب، سيكون طريح الفراش، الجوع سيأخذه، والعطش سيلحقه، وسيغمى عليه وينتابه المرض، وسيقتفي أثره الموت، تعالَ إليَّ وخلِّصني وإلا تذكر:

الهلاك محقق

لم أكن بمحاولة تشرب الهدوء السابق تجاه ما أقرأ، صيغة الرسالة الآمرة لعودتي مرة أخرى تبعث الضيق في صدري، وقلادة صفاء جذبت قلق العالم ليستقر بكياني، مَن ذلك الفرعون الميت الذي يعتبرني صديقًا وشريكًا وخادمًا وحاكمًا مثله؟ ومن الذي يقصده بالتهديد غيري؟ يبادرني بكلمات تجعلني ملكًا ثم يحولني لعبد بكلمات كضربات سوط تلهب كياني، حتى عندما أتعمق في كلماته المادحة لا تأخذني إلا لبلاهة الفكر، خلود وحياة أبدية وعروش وآلهة! ربما كانت أكثر فاعلية مع رجل من زمنه تُواكب تلك المعتقدات عقيدته وشخصيته، ولكن حظه التعس جعل من يكتشف مقبرته رجل جاء بعده بآلاف السنين، ولا أكاد أشعر بنشوة التفوق عليه بأفكاري العقلانية حتى تتراقص أمام عيني القلادة! ما علاقة صفاء بآلاف السنين؟! نصف وجهها المبتسم يكاد أن يضيء من فرط دقته وجماله، ونصف الموت يضاهي رؤية

جثة تتشرح أمامي، استلقيتُ على السرير بقوى مسلوبة، هجرني النوم خوفًا مما أنا فيه ولم يطمئن لزيارتي إلا في العاشرة صباحًا.

****

استيقظت في الثالثة عصرًا بعد نوم محشو بأضغاث أحلام، جسدي محطم ونفسي المضطربة كحالتها قبل النوم، تحاملتُ وقمتُ كعجوز مصاب بهشاشة عظام، التقطتُ هاتفي فوجدت سيلًا من مكالمات فائتة، مقسمة تنازليًا بين روان وبسمة وصفاء وسعد، اسم صفاء لم يمر مرور الكرام، أمسكتُ القلادة لعلي كنت أتوهم ولكن يبدو أنها من سلالة فرعون المقبرة، ظلت الأفكار تطعن عقلي فينزف جهلًا، توجهتُ للمطبخ أرغب في برميل قهوة استعدادًا لتفادي رماح اللوم التي ستصوب عليَّ من روان وبسمة، محاولتان للاتصال بروان فشلتا ونجحتْ الثالثة:

- كيف حالك يا روان.

كانت سهمًا مشدودًا بقوس أطلقه صوتي:

- والله! المفروض أقول لك الحمد لله بخير! يوسف! أنت طبيعي؟؟

زادني غضبها المحق إحساسًا بالذنب:

- حبيبتي آسف، أعترف بتقصيري لكن صدقيني بسبب ظروف خارجة عن إرادتي.
- على ماذا تعتذر ولمن تتأسف! هل من الطبيعي أن تختفي كل ذلك الوقت وتتركني لا أدري هل أنت بخير أم لا؟ أين أنت وماذا تفعل؟ ما الطريقة التي يجب أن أفكر بها كي لا أكون قلقة؟ أنك مقصر وستكلمني تعتذر لي!

لم أجد ردًا ولو كان مبتذلًا، أكملتْ:

- وعمومًا تمام، ما هي الظروف الخارجة عن إرادتك؟ أم ليس من حقي المعرفة؟

الصمت كان سيزيد الطين بلَّة:

- يا روان عملي الجديد ليس سهلًا كما كنت أعتقد، كثير وثقيل ويشغلني أكثر من اللازم.

ليتني صمتُّ واكتفيت بالبلَّة، فقد زدتُ الطين طينًا.

- أأنت مدرك ما تحاول إقناعي به؟ لو جوابك نعم وترى نفسك على حق أغلق الآن.
- حبيبتي لن نتناقش في أي شيء آخر إلا عندما نتقابل اليوم، الساعة السابعة تناسبك؟

تنهدتْ بلهيب قشعرتني سخونته:

- تمام يا يوسف.

أغلقتْ لتتركني في مهلة أربع ساعات، أبحث عن كذبة تخترق أحاسيس من أُوحيت إليها علوم النفس البشرية؛ كي أنجو من صفعة لرجل مهمل لا يستحق حبيبته، أمسكتُ الهاتف استعدادًا لصدام الجبهة الأخرى، وضعته على أذني وانتظرت صوت بسمة فافترستني هي الأخرى لهفة وعتابًا وغضبًا:

- أخيرًا تذكرتنا، ما هذا القلق الذي أصبحت تغرقنا به؟
- آسف يا بسمة كنت مشغولًا؟
- وفي وسط انشغالك لم تكن هناك دقائق لتطمئننا عليك؟ وحتى إن لم ترغب، كيف يطاوعك قلبك ألّا تطمئن على حنين؟

لن تصمت حتى يتم تفنيد التفاصيل وشرحها:

- عندما أراكِ سنتكلم.
- نحن بانتظارك، صلاح هنا وسيسافر غدًا ويريد رؤيتك، والبنت تسألني أين بابا منذ الأمس.

معلومات تفيد بالذهاب الإجباري.

- حاضر، قادم خلال نصف ساعة.

-١٨-

في طريقي لبسمة لم يكن ذهني حاضرًا لاختلاق مبررات مقنعة رغم المحاولة، أحداث المقبرة حائط صد فولاذي لِما سواها من اهتمام، لا أستطيع سوى التفكير بها ولا أريد إلا الحديث عنها، ولولا تحذير الفرعون بأنْ أُبقي الأمر سرًا لكان صلاح على علم بكل شيء بعد قليل، ومع أن هذا التحذير يبدو لي في الغالب هراءً، إلا أن جديته تصل إلى عمق بعيد بداخلي، عمق يتكرر في كثير من الأحداث، فأنا لا أعي وجودي بجوار هياكل عظمية ولم أهرب، أمام باب خلفه مجهول أحاول فتحه ولم أهرب، فرعون ميت يحدثني بحبكة مثالية مقلقة كتبها في رسائل ولا أفكر في التراجع، وما يفوق أثر كل ذلك.. القلادة! كل هذا بداخلي نصف يوازيه نصف مجهول المصدر يبعث فيّ الهدوء لأرى كل ما سبق طبيعيًا، بل ويُرغبني في الذهاب للمقبرة في كل وقت، أجل ربما أحب المال حبًا جمًا ولكن لم أتوقع أن يكون على حساب تلك الغرائب التي لا يتفق استيعابها والاستمرار فيها مع طبيعتي.

عندما فتحتْ بسمة الباب رمقتني بنظرة فاحصة، متخصصة علم نفس ستصنع معجزة الآن عندما تعرف كل شيء عني دون

أن أتكلم، اِجتزتُها بكتف غير قانوني وهزة رأس ساخرة ودخلتُ، انطلقتْ نحوي حنين بسرعتها القصوى، حملتها فطوقتني بذراعيها وسكنتْ حضني ساكنة بلا كلمات، أذابتْ قلبي حبًا فلم أتركها طوال فترة تواجدي، على مائدة الطعام كانتْ حنين تجلس على فخذي، آكل ببطء لا يتناسب مع جوع يوم ونصف، صلاح يتحدث في أمور عامة وبسمة تتفاعل معه وسط نظرات متكررة إليّ، يؤجلان انقضاضهما عليّ الآن منعًا لسد النفس.

فرغنا من الطعام وانتقلنا للصالة، انشغل صلاح بمكالمة وبسمة تُحضر القهوة وحنين تأسرني في عالمها الطفولي، جاءتْ بسمة تزامنًا مع انتهاء مكالمة صلاح الذي بدأ التحقيق:

- لماذا يشتكي الجميع منك يا يوسف ويتهمونك بتغيير أحوالك؟
- لا شيء سوى تركيزي في عمل البازار والوقت يسرقني، والإجازة تصيبني بالنوم الكثير وكأني أعوض أيام الاستيقاظ مبكرًا.
- ولكن بسمة تقول إنك لا تتصل ولا ترد لفترات طويلة؛ فيصيبهم القلق.

صيغة حديثه بُرهان على توطيد العلاقة بين بسمة وروان.

- في تلك النقطة أنا المخطىء، وإن كان السبب عدم تركيز لا أكثر، فأنا أجعل هاتفي على الوضع الصامت كثيرًا، لن يتكرر الأمر يا أستاذة بسمة.

قلتها وأنا أنظر إليها لإذابة ضيقها، ناولتني أنا وصلاح القهوة وبدأتْ تتكلم:

- سألتمس لك العذر طالما أن غيبتك لن تتكرر، أريد فقط معرفة عدم اتخاذك لأي خطوة جادة مع روان حتى الآن؟

بدا عليَّ اندهاش ربما من واقعية الكلمات قبل أن يتدخل صلاح:

- صحيح، على حسب معرفتي أنك قابلت والدتها وتحدثتما بشكل غير رسمي، هل تنوي الاكتفاء بذلك؟
- أكيد لا، في أقرب فرصة سأذهب وأطلب يدها بشكل رسمي.

تدخلتْ مَن تقتنع أن أمنا توحمتْ في حملها بي على الكوالا:

- أقرب فرصة تلك أتمنى أن تكون غدًا على الأكثر، لا يوجد ما يمنعك.

أثارتْ الفكرة إعجابي رغم لهجة عتاب صاحبتها، أقل تعويض لروان عن إهمالي غير المبرر هو اتخاذ خطوة إيجابية في

علاقتنا، سيغطي أثر هذه الخطوة على العتاب المنتظر من روان، وسيبعد النظر عن تغيري المفاجىء لحين وضع أسس جديدة للفترة القادمة.

- أول مرة تقترحين فكرة بهذا الجمال، موافق.

لم تصدق انصياعي لكلماتها بتلك السهولة:

- فعلًا؟ يعني سيحدث قريبًا؟
- أقرب مما تتخيلين، هذا الأسبوع لو أردتِ.

بارَكَ صلاح قراري:

- جميل، اليوم هو السبت من الممكن إقامة حفل خِطبتك الخميس القادم، أو ما يناسب ظروفك.

ردتْ بسمة بالنيابة عني:

- لا الخميس مناسب، لا توجد ظروف كما أنه إجازة.

نظرا إليّ ينتظران الموافقة، كان ردي أنْ أمسكتُ الهاتف واتصلتُ بروان:

- حبيبتي، قررتُ أن تشاركنا والدتكِ لقاءنا اليوم.
- لا أفهم!

- يعني سآتي لزيارة بيتكما، أفتقد حماتي وأرغب في رؤيتها يا ستي.

غاصت في صمت قليل ثم عادت:

- حسنًا تعال.
- لا، لو ظلتْ هذا الكآبة التي تصلني من الهاتف موجودة فلن أتحرك من مكاني.
- على أساس أنك موجود أصلا؟
- روان، وحياة ماما لا تغضبي مني، سنتحاور ونتصافى.
- تمام يا يوسف ننتظرك.

أغلقتُ فاحتضنتني بسمة بفرحة، وصلاح يربت على كتفي برضا.

-١٩-

في السابعة كنت أمام شقة روان، أنتظر وجهًا لا أُدرك كيف أسبب لملامحه الحزن، فتحتْ فقرأتُ في وجهها راحة برؤيتي رغم تعكر حالتها النفسية بسببي.

- بحبك.

قلتها فابتسمتْ وسمحتْ لي بالدخول، الشقة كانت كبيرة الحجم كثيرة الأثاث بالنسبة لفردين، تقدمتني لصالة واسعة يتصدر جدارها الأمامي صورة لروان تتوسط والدتها ووالدها، وباقي الجدران مزينة بلوحات مناظر طبيعية وآيات قرآنية وزخارف معلقة بذوق رفيع، جلستُ على كرسي فخم مجاور لتوأمه وأمامهما مثلهما وبينهم طاولة تحمل مزهرية تسكنها ورود صناعية مختلفة الألوان، تبادلنا نظرات عتاب وشوق قبل مجيء والدتها، صافحتني ورحبتْ بي بجدية أدهشني أن تقابلني بها في زيارتي الأولى، خمنتُ علمها بما يدور بيني وبين روان، تركتنا روان دقائق اطمأنتْ فيها والدتها على أحوالي وأحوال عائلتي الصغيرة، عادتْ روان بثلاثة أكواب عصير وضعتهم على المنضدة ثم جلستْ، ساد صمت فأردتُ إذاعة خبري بلا مقدمات:

- طنط، أود استئذان حضرتك في عمل خِطبة رسمية.

رمقتني روان باندهاش، ثم تلاقتْ عيناها بعينيّ والدتها التي ترددتْ قبل أن تتكلم:

- قبل أي كلام يا يوسف أريد أن أسألك، هل هناك ما ينبغي علينا معرفته عنك ولم تقله قبل ذلك؟

لم أسمح للتوتر بتملكي:

- أبدًا يا طنط، لو قصدكِ الأيام الفائتة فتقصيري بسبب عملي الإضافي، ومنذ قليل تحدثت مع أختي واتفقنا على عدم تكراره، وأعدكِ وأعد روان أيضًا بأنه لن يتكرر.

أسندتْ ذراعيها على جانبي الكرسي ومالت للأمام قليلًا وبدا عليها التحفز:

- تتذكر جيدًا حديثنا في مكتبي؟
- أكيد يا طنط.

تنحنحتْ روان تنبيهًا لوالدتها، تعلم أنها ستضغط عليَّ بكلمات ربما تسبب إحراجي، نظرتْ للأرض صامتة ثم عاودتْ النظر إليّ:

- لا تهمل روان يا يوسف، ولا تحزنها بسبب أشياء أنتما أكبر منها.
- حاضر.

عادتْ بظهرها للكرسي:

- ومتى تريد إقامة حفل الخِطبة؟

- بالنسبة لي لا شيء يمنعني أن تكون الخميس القادم، لو يناسب حضرتك طبعًا.

نظرتْ لروان:

- ما رأيك يا روان؟

هزَّتْ روان رأسها بالقبول فابتسمتْ والدتها:

- لا مانع، على خيرة الله.

تركتنا ذوقيًا ليكتمل صفاء النفوس، نظرتُ لروان التي صدَق حسي في تأثير خبر خطبتنا على حالتها النفسية، أردتُ إغلاق باب قلقها وتحفظها مما حدث نهائيًا:

- مخطيء ومقصر وأستحق الضرب وأطلب السماح، وكما قلت لوالدتكِ لن يتكرر ما حدث، فلنغلق ما فات ولا أريد رؤيتك حزينة مطلقًا.

ضمت شفتيها بغيظ مصطنع:

- حسنًا، لكن كيف لا تخبرني بأمر الخطبة؟

- المفاجأة كانت ستفسد يا روحي.

قبَّلتُ يدها خلسة فانتزعتْها مني بخجل وهي تنظر تجاه غرفة والدتها قبل أن تُلهَم سؤالًا بلا رد:

- لا أفهم لماذا لم تصطحبني لرؤية الأرض حتى الآن؟

أبعدتْني عنها آلاف السنين، تركتها لأغوص في ذكريات الأيام الفائتة، قلبي يخفق وشرودي يحتاج ضربة بمطرقة فوق رأسي كي أستفيق، لم أسمع نداءها إلا بعد إحساسي بضربها لكتفي:

- يووووسف.

انتبهت لها بلا كلمات.

- ماذا يحدث يا يوسف؟ ماذا يحدث حقيقةً؟
- لا شيء، شردت فيما أتمناه معكِ، أغمض عيني وأفتحها أجدنا في بيت واحد.
- لم ترد على سؤالي، متى سنذهب للأرض؟ أم أنك قررت بناءها دون مشورتي؟
- في أقرب فرصة سنكون هناك.

حاولتُ الهروب من رغبتها ومن ذكريات الفرعون بالانغماس في تفاصيل حفل خطبتنا، استجابتْ حتى تأكدتُ من هدوء الوضع معها نسبيًا، قضينا ساعة أتحدث فيها عن كل ما يشغلني عن نداءٍ خفي.. يطلب مني الذهاب للمقبرة.

-٢٠-

ثلاثة أيام متتالية كنت فيهم يوسف الذي يعرفه الجميع إلا أنا لا أعرفني، زياراتي لبسمة وحنين وعلاقتي بروان وإنجاز مستلزمات حفل الخطبة ساروا على ما يرام، لم يُنغص عليَّ شيء إلا إلحاح روان لزيارة الأرض حتى صار الأمر قضية يجب أن تنتصر فيها، أختلق أعذارًا أُسوِّف بها صدامًا سيحدث ولا أجد حلًا، لم أنقطع عن البازار بل أطلتُ مدة قيامي به للراحة التي أجدها في معاملة سعد، الوحيد الذي لا أشعر بمسئولية تجاهه تصيبني بالكدر، تطورت علاقتنا فلم نجد حرجًا في الحديث عن المقابر والآثار وصعوباتها وأخطارها وأموالها الغزيرة، وصلتْ ثقته بي أن يحكي ما يُعد سرًا لا يجوز كشفه:

- لم تعد غريبًا يا يوسف، سأخبرك بسر لا يعرفه زوجتاي حتى، ولكن أذكرك بأن حفظ السر من أخلاق الرجال.
- لا تحتاج لقول ذلك يا سعد، ربنا يعلم أنك أصبحت أخًا.
- عِشت يا صاحبي.

اقترب مني وأخفض صوته:

- تجارة الآثار أخذت من عمري سنينَ أحاول الخروج منها بمصلحة، تجارة صعبة وخطيرة مع من لا يفهمون أو مع المبتدئين، لكن ربنا أكرمني عندما ساق لي القدر رجلًا أحبني لله في لله، أدخلني معه في صفقة خرجت منها بمبلغ ضبط لي حياتي.
- ولماذا لم تكمل معه؟
- كان كبيرًا في السن وكثرة أمواله وجهته لعدم التعب والمخاطرة مستقبلًا، سافر فرنسا ولم يعد من وقتها، أعتقد أنه قد مات.

غمزتُ له بعيني:

- لذلك تزوجت من اثنتين عندما جرت النقود في يدك.

استاء وضرب كفًا بكف:

- عليَّ الطلاق أكبر خطأ في حياتي، هذه هي لعنة الفراعنة التي أصابتني.

ضحكتُ.

- يا يوسف الستات نعيم لا يوصف، خارج الزواج هم فاكهة الحياة، ذات مرة قرأتُ كلمات في رواية سكنت دماغي وحفظتها لأنها تصفني أنا:

لِمَ لا يفهم هذا العالم أن النساء أجمل من الدرجة التي لا يمكن الاكتفاء بواحدة أو أربع أو أربعة ملايين، ليتني خُلقت سلطانًا في عصر الجواري، أو قائدًا ظالمًا أغزو العالم فأستبيح كل النساء، أو حتى ظللتُ طفلًا رضيعًا تتبادلني الأحضان والقبلات.

- واضح أن تاريخك كله مغامرات.
- أيام، قريبًا ستفهم ما أقول فأنت مقبل على زواج ربنا يرحم القديمة ويحفظ لك الجديدة، بعد فترة ستتأكد من صحة كلامي.
- ذكَّرتني، أنا طبعًا سأغيب عن البازار الأيام القادمة، إياك ألا تحضر حفل خِطبتي، قد أشغلك عن البازار ولكن أحبك وأرغب في وجودك يا سعد.
- يا صاحبي وربنا سأكون أول الحضور، أنت بالفعل في مقام أخي بلا مجاملة.

تركني لقضاء بعض مصالحه، تُنازعني نفسي أن أخبره بأمر المقبرة ولكن الروع من تحذير الفرعون وكشْف الأمر عامة يمنعني، وصلتُ لحل وسط حين فكرتُ بإشراكه معي في بيع سبيكة، خِبرته ستجعل الأمر سهلًا، كما أنها بمثابة تجربة سيظهر فيها صدقه أو طمعه، فخسارة سبيكة ليست كخسارة مقبرة، تركت الفكرة تختمر بذهني وأخرجتُ القلادة من جيبي، غيَّرتُ

سلسلتها الجلدية بسلسلة فضية تمهيدًا لإهدائها لصفاء غدًا عندما أزور الشركة لدعوة بعض المقربين، مرتْ نصف ساعة وعاد سعد يحمل كرتونة ممتلئة بمشغولات فضية من أساور وخواتم وسلاسل على الطراز الفرعوني، ساعدته في وضعها بأحد أركان المحل، ثم استحضرتُ جرأة تمكنني من فتح أمر السبيكة:

- سعد، مثلما أمَّنتَني على سرك أنا أيضًا سأبوح لك بسر.
- في بئر يا صاحبي.
- أحد أقربائي يمتلك سبيكة ذهبية، وجدها عندما كان يحفر تحت بيته لتغيير بعض مواسير المياه، لكنه قلقٌ من محاولة بيعها خوفًا من المشاكل، هل لديك سكة لهذا الأمر؟
- لديَّ، أعرف الكثيرين من تجار الذهب يمكنهم الشراء بلا فواتير، وأقصى ما سيفعلونه خفض الثمن قليلًا.

تلفتُّ حولي واقتربتُ أهمس له:

- محفور عليها نقش فرعوني كأنه حفر بالليزر، يقلق أن يظن أحد امتلاكه الكثير منها وليس معه غيرها.
- ممم!! أحضرها ولها سكة بعون الله.
- سعد لو هناك خطورة عليك أو علينا بصفة عامة فلا داعي.

- يا باشا توكل على الله وأحضرها وأنت وقريبك خارج الموضوع حتى ينتهي، ولا تقلق فلست تلميذًا لأضع نفسي أو أضعكما في مصيبة.

ثقته أزالتْ كل شوائب قلقي، راقتني تلك الخطوة التي إذا نجحتْ بسلام ستتوج مجهودي وقلق المخاطرة بتاج النصر، ارتفعت معنوياتي وانعكس أثر ذلك على بسمة وروان حتى أصبح تدهور سلوكي خلال الفترة السابقة غيمة تلاشتْ.

-٢١-

في العمل رافقتني صفاء وأنا أدعو بعض المقربين لحفل خِطبتي، القليل ممن أعتز بهم بالإضافة لثلاثي مكتبي، انتهينا وعدنا للمكتب طمعًا في فنجان قهوة من يدها، أنظر لمكتبي الذي تحول إلى مخزن للأوراق الزائدة بطموح عدم العودة إليه، هنأتْني إيمان متمنية لي ولروان الخير رغم حساسية آخر لقاء بيننا، وصبحي استقبلني بخلع حذائه ثم شرابه فتحولتْ قدماه إلى مبخرة تفوح بعطر حروفها مع حذف أول حرفين، مقبرة أخرى للفرعون صبحي ستصيبني بربو مزمن، هربتُ للطرقة متوقعًا هجرة صفاء وإيمان بعدي، خرجتا متأففتيْن أسمع بإحساسي من تسبان في سرهما، انشغلتْ إيمان بمكالمة شذَّت منها جملة واحدة بعلوّ الصوت "بني آدم يقرف"، وافقتها بقلبي رغم خلافنا الدائم قبل أن تعطيني صفاء القهوة وتقف معي:

- ألن تدعو أستاذ مدحت؟
- لا، ولا هو ولا سيدته الجميلة.
- لا يا يوسف، ادعهما ولو مجاملة، هما غالبًا لن يأتيا، منى كانت تأمل فيك وأنت جرحت مشاعرها يا عيني،

ومدحت سيُسمعك محاضرة عن الموظف الذي لا يدعو المدير، أنت حر.

أضحكتني قبل أن أمد يدي في جيبي وأخرج القلادة:

- أحضرت لكِ شيئًا لا أستوعب رؤيته منذ يومين، وجدته صدفة بأحد البازارات المجاورة لمكان عملي.

أهديتها لها، فتحتْ غطاءها تنظر إليها بعينين تتسعان تدريجيًا، على ملامحها فرحة مكبوتة كفتاة قدَّم لها حبيب العمر شبكتها فجأة.

- ما هذا يا يوسف؟! لا أصدق الشبه ولا جمال الرسمتين المبتسمة والحزينة!!
- قلت لكِ ظللتُ يومين لا أستوعب.
- لكن كيف! أين رآني من صنعها أم هي صدفة أم ما الأمر بالضبط؟

ألهمتني جوابًا لن يتفرَّع منه أسئلة أخرى:

- سألتُ وأخبروني أنه نحات فرنسي عاش في مصر لفترة ثم عاد لبلده، كان كبيرًا في السن وربما مات.

قطع كلامنا نداء منى عليَّ بحدة لم أعهدها لأقابل عبدها، يبدو أن عقاب مشاعرها المجروحة سيحيق بي الآن، تركتُ صفاء

لتعيش أجواء الحب مع قلادتها ودخلتُ خلف منى، حييتها فلم ترد، تجاهلتها ودخلتُ لمدحت، يجلس منشغلًا بأوراق جعلته يرد تحيتي في المرة الثانية.

- أهلا يا يوسف، مبروك وربنا يتمم بخير سمعت أنك ستخطب.
- الله يبارك فيك، طبعًا حضرتك أول المدعوين.

خلع نظارته وقام يأتيني، كربتُ من توقع سماع محاضرة عن أنواع الخطبة وتأثيرها على سوق العمل قبل أن يربت على كتفي ويطلب مني الجلوس، أطعته فحكَّ ذقنه بأصابعه وبدا مترددًا:

- يوسف أنا مضطر أقول لك تؤجل خطبتك قليلًا.

تعكرتْ ملامحي من فظاظة الطلب المفاجئ.

- الإدارة طلبت بعض التقارير العاجلة يجب أن تنتهي في ظرف يومين ليتم إرسالها لمكتب الوزير، وهذه البيانات من صميم اختصاصك.

العاهرة أطلقتْ عليَّ كلبها النجس.

- طبعًا لن أحمّل آخرين تبعات عملك، كل موظف مسئول عن عمله خاصة لو بتلك الأهمية، ولا علاقة بحياتنا الخاصة بتعطيل سير العمل على أكمل وجه.

لم أر نفسي في تلك اللحظة إلا لعبة بيد حقيرين مقامهما الدهس بالأحذية، عدوان لا سعر لهما هدفهما تعكير صفو حياتي بأكملها، غيظ العالم استوطنني، قمت بلا كلمات وأحكمتُ عنقه بيدٍ واحدة وألقيته فوق مكتبه بقوة لم أدرِ أني أملكها:

- يا ابن الكلب أنت ومن تسلطك إن اقتربتما مني أنا من سأفضحكما، وكل ما تخشاه منها سأفعله أنا لأقصيك عن عملك وأدمر حياتك وأجعلك تعيش باقي عمرك بعين مكسورة.

تركته لا يستطيع النطق بل يسخَّر كل مجهوده لاستنشاق الهواء، خرجتُ بنفس حالتي لعاهرته، طويتُ يدها خلف ظهرها وكتمتُ فمها وقلت لها كما قلت لعبدها، مع إضافة تهديد وقسم برؤية نفسها عارية وسط الشارع يومًا عندما أسلط عليها من هم أسوأ من عبدها الأحمق.

غادرتُ الشركة بغضب لم يجعلني أخشى عواقب تهوري، وبمرور الأيام لم يكن هناك أي عواقب بل اتضح أنه الحل الواقعي لجرأة المنحطين.

-٢٢-

تحولتْ شقة روان لقاعة جاهزة لاستقبال القادمين لحفل خطبتنا، أجواء الاحتفال تغمر المكان، صلاح يقف بجانبي يجاملني بكلمات إعجابه باختياري لروان وأناقتي في بدلة الخطوبة، وبسمة ترافق روان بغرفتها كأختين، وحنين تتجول في الشقة بشقاوة بحثًا عن مغامرة تسبب لنا الإحراج، وقفنا مع بعض أقارب روان نتبادل الحديث قبل أن يبدأ المدعوون بالتوافد تباعًا، ألبستُ روان دبلتها وسط زغاريد النساء وابتسامات الرجال، بسمة ووالدة روان تغمرهما سعادة مسيلة للدموع، إيمان تلازم صفاء في كل خطوة، قام سعد بفقرة شعبية حيَّاني فيها ككبير منطقة أعجبت الجميع، أما صبحي فلم يكن همه إلا اللهث خلف الطعام والحلويات بنهم وكأنه وحيد في المكان.

كان كل شيء طبيعيًا حتى لمحتُ صفاء من بين أكتاف الحضور تُثبت نظرها عليَّ، تَكَرَّرَ الأمر فأوَّلته في البداية غيرة أو حسرة على رجل تحبه تراه رسميًا مع غيرها، ساورني قلق أن تلاحظ روان أو والدتها خاصة وأن جرأة صفاء تزداد، مع الوقت لم يعد وجه صفاء هو المألوف، صار جامدًا حادًا غاضبًا وتحولتْ نظراتها لقذائف من

الرعب، انقبض صدري وسال عرقي بغزارة جعلتْ صلاح يفكر في فتح مصنع مناديل بجانبي، أتجنب النظر نحوها ولا أستطيع، أرمقها فأجدها ضاحكة مع من حولها ثم تلتفت نحوي بسرعة، تتبدل كل ملامحها وتطلق قذيفتها نحوي، باتتْ غريبة مخيفة تصيبني بهلاوس تغيّر لون وجهها وقرب انقضاضها عليّ، لم أصمد كثيرًا حتى لاح عليَّ توتر جذب انتباه صلاح وروان، مالا نحوي يطمئنان فلم أجد أحبالًا صوتية، عرض عليَّ صلاح إنهاء الحفل فوافقتُ بهزة رأس كادت أن تنفصل عني لتُقبّلهُ على الفكرة، رحل الجميع وسط اندهاش داخلي، وتساؤلات خافتة، وبحث "حماتي" عن ذنب اقترفته ليكون نصيب ابنتها رجل لا تشك أنه زوج الندامة.

رحيل صفاء أعاد بعض توازني، أغرقتني عروض الذهاب لطبيب فأخبرتهم أنه مجرد ضغطي المنخفض، انفصلتْ العائلتان بفرحة لم تكتمل، ذهبتُ لشقتي وحدي تاركًا حنين مع صلاح وبسمة، صراعي مع صفاء لم ينبىء بنهاية، لماذا كانت بذلك الرعب؟ لماذا لم يلاحظ ذلك أحد غيري؟ هل القلادة السبب؟ وإن كانت السبب فما هوية ظهورها بذلك الشكل؟

أسئلة بنصل حاد تفتك بعقلي، وإجاباتها في باطن الأرض بداخل مقبرة قررتُ ألا أدخلها نهائيًا، تكفيني سبيكتيْ ذهب هما

مكافأتي على ما سبق من ضغط ورعب، سيؤمن ثمنهما حياة أفضل وإن كانت ليست كما أحلم، ثم أبيع الأرض وأبتعد عن هذا المجهول، ملأ خواطري حنين وبسمة وروان وصلاح فوجدتني أحبهم أكثر من أي وقت مضى، بل داهمتني لحظات أحببتُ فيها صبحي وإيمان واشتقتُ لمنى وعبدها، قمتُ بما لديَّ من عزم ولملمتُ كل أثر أحضرته من المقبرة ووضعته بداخل صندوق والدة حنين، باستثناء السبيكة الصغيرة التي عقدتُ صفقتها مع سعد، أستنشق أنفاسًا تحفز نصفي الخاص بي على النجاة...

وليذهب النصف الآخر إلى الجحيم.

-٢٣-

انبهار سعد بالسبيكة لم يجعله سعدًا الذي أعرف، يتأملها بجدية عالم آثار اكتشف إنجازًا سيهز العالم، أمسكها دقائق لم يعرني خلالها انتباهًا رغم نداءاتي المتكررة، صمت وتركيز فقط، حين استفاق تجاهلني واتجه نحو مكتبه، أخرج من أحد الأدراج علبة صغيرة وضعها على المكتب، مسح السبيكة بسائل ثم أمسك عدسة تأملها بها دقائق أخرى، أعاد العلبة للدرج وبصره لا يغادر السبيكة، تنهد ونظر إليَّ بجدية:

- هذه السبيكة من مقبرة ملكية.

وَقْعُ كلمة ملكية كان فخمًا في نفسي.

- أين وجدها قريبك يا يوسف؟ أخبرني بالتفاصيل.
- كما أخبرتك سابقًا يا سعد، كان يحفر تحت بيته لتغيير مواسير المياه فوجدها.

قام وأتى إليَّ:

- قريبك إما يخدعك وإما لا يفقه شيئًا.

راودني شعور بأنه سيحكي حكايتي فابتلعت ريقي:

- ماذا تقصد؟
- مكان السبيكة قريب من مقبرة فرعونية، وليست فرعونية عادية إنما ملكية، وربما أعظم من ملكية ولكنني لا أستطيع تحديد صورة نهائية للأمر.

بدأ توتري يزداد:

- وما وضع السبيكة الآن؟ بيعها سهل أم خطير؟

ابتسم وربت على كتفي:

- ستباع وستنقلنا لبعيد، حياتك ستتغير يا يوسف.

مزيج من كل هرمونات السعادة انسكب بداخلي:

- ثمنها كبير؟
- لن يقل عن أرنبين.

الرقم أصابني بنشوة جعلتني أتحول لرجل أعمال يحاول الاستفادة بأقصى فائدة:

- إذن هو مليون جنيه وأنا وأنت كل منّا نصف مليون، اتفقنا أم هناك مشكلة؟

ابتسم ابتسامة واسعة ثم هز رأسه بالموافقة:

- اتفقنا يا عم يوسف.

انعقاد الصفقة الأولى كان أفضل ما حدث منذ اكتشاف المقبرة، يزيد نشوتي مضاعفة المبلغ حين تُباع السبيكة الثانية، مبلغ قدَّرتهُ بما لا يقل عن أربعة ملايين جنيه قادر على تغيير حياة لتصبح رغيدة، قاومتُ وساوسَ نصفي الثاني التي تهمس لي بالاستمرار في فتح المقبرة متمسكًا بقراري، ارتضيت تمامًا ووضعت وجوه عائلتي أمامي أستمد منهم الصمود، اشتقتْ لروان فاتصلت بها وتقابلنا في كافيه معتاد بالمعادي، لم تكن قد اطمأنتْ كامل الاطمئنان على ما حدث.

- يا روان الضغط فقط لم يكن على يرام، ليست أول مرة لكن من حظي السيء تكراره في الحفل.
- إذن نتابع حالتك مع طبيب.
- حاضر.
- وبالإجبار على فكرة كي لا تتهرب مني في شيء آخر.

العالم صغير، ها هي قد بدأت تتحدث كبسمة.

- لا أستطيع التهرب منك يا نور عيني.
- حقًا!
- أكيد.
- إذن فلنذهب لرؤية الأرض.

اللعنة عليَّ وعلى ثقتي، حاولتُ كتْم ارتباكي برد اعتباطي:

- اصبري حتى يهدأ ضغطي وأطمئن أني بخير.

كانت طائرًا لا تعيقه تكتلات الأشجار:

- أليست الأرض قريبة من بيتك! نراها ثم اذهب للبيت وأنا سأرجع بتاكسي.

لم أجد بُدًا من الهروب الباهت:

- فلنؤجلها لوقت آخر يا روان.

تحفزتْ لالتهامي قبل أن ينقذني هاتفها عندما رن، ردَّتْ فتغيرتْ ملامحها وانتفضتْ من مكانها:

- ماذا حدث وذهبت لأي مستشفى؟

قمتُ متوترًا وقد توقعتُ أن الكلام يخص تعب ألمَّ بوالدتها، أغلقتْ الهاتف لتسمعني ما زلزل كياني:

- صفاء تعبت فجأة وتم حجزها بالمستشفى.

صعقني الخبر فخارتْ قواي، وضعتُ كفيّ على وجهي لا أرى إلا القلادة، الكل يرى الظاهر وأنا أرى حافة هاوية تقترب مني، واستْني روان لعلمها بقوة الصداقة التي تجمعني بصفاء، تطالبني بوجوب القيام والذهاب إلى المستشفى، انطلقنا بسيارتها، تتزايد

حيرتها من قلقي الزائد دون علمي بما أصاب صفاء، وصلنا واتجهنا للغرفة المحجوزة بها، على بابها يقف زوجها وولداها ونفر من عائلتها، قوم أحرقت ديارهم وجئت لأشاهدها بعد الخراب، عرَّفتنا روان لهم ثم سألتْهم عن التفاصيل، أخبرهم الطبيب بأنها صدمة عصبية شديدة رغم قَسم الجميع بعدم حدوث ما يستدعي ذلك، استأذنتْهم روان في الاطمئنان عليها فوافقوا بشرط عدم إزعاجها كما أفادهم الطبيب، دخلتُ مع روان ونظرت إليها بقلب منشطر، ممددة ساكنة على سرير يغذي جسدها محلول معلق، لم يخف انصهاري الداخلي عن روان فطبطبتْ على يدي وهمستْ لي بالخروج، لم أستجب رغم تكرارها للمحاولة، تنهدتْ وسبقتني للباب، أتأمل ملامح صفاء بندم مَن وضع سمًا لصديقه الوفي، اقتربتُ منها خطوة يتسلل إليّ شعور غامض بالحذر..

بلا مقدمات انتفضتْ جالسة بقوة تنين بوجه أسود اللون وعينين جاحظتين وملامح مرعبة، أمسكتْ عنقي بإحكام وصاحتْ في وجهي بصوت هائل ليس صوتها رجّني كجرس ضُرِبَ بمطرقة:

- أنقذني يا يوسف، الهلاك محقق.

عادتْ لوضعها في لحظة تزامنتْ مع رجوعي للوراء هلعًا حتى سقطتُ، أصدرتُ صرخة أتت بكل من في المستشفى عندي،

تحاصرني زوبعة من كلمات عاشمحب على وشك اجتياحي، الخراب العقاب طريحة الفراش الجوع العطش المرض الموت، الفرعون لا يتجمل بكلمات، الفرعون يخطط ويعمل وينفذ وينجح في إرادته بعودتي للمقبرة، تزاحم الجميع حولي يتبادلون نظرات مبهمة بيني وبينها، كل من يسألني يُحدِّث ميتًا، كل من يلمسني ليساعدني في النهوض يَفزع من رعشتي، تأزم الجو حين جاء الطبيب وفرَّق الجميع بحزم، فتطوعتْ روان لتضمني رغم مقاومتي لها تجبرني على النهوض، تدمع عيناها من هيئة رجل لا تتوقع أن يتأثر لهذا الحد لو كانت هي مكانها، أشفق أحد الممرضين على حالها فجاء يساعدها في إسنادي وتوصيلي لسيارتها، تحركتْ وكلٌ منَّا صامتٌ تحت براثن واقعٍ لم يتوقع أن يعيشه، هداها عقلها أن تصحبني لشقة صلاح، نزلنا فأسندتني كحامل أُجهضتْ للتو، سلمتني لبسمة مثل بضاعة راكدة تخلصتْ منها ورحلتْ دامعة، لا تُلقي بالًا لجنون بسمة من حالتي المزرية، وضعتْ ذراعي على كتفها وأدخلتني، ارتميتُ فوق أول كرسي قابلني، يطوقني فزع يَمنع وصول إمدادات أي محاولة من بسمة لتهدئتي، لمحتُ حنين بالقرب منَّا، منكمشة ترمقني بغرابة وخوف فكانت الوحيدة التي أعادتني للحياة، أشرتُ لبسمة بأصبعي تجاهها ففطنتْ لِما أريد، ذهبتْ إليها واحتضنتْها:

- حنين حبيبتي ادخلي الغرفة وسأحضر لك ألعابك، سأجهز لك حلوى ثم تأتي لتلعبي معي أنا وبابا.

أنهتْ مهمتها وعادت إليَّ بنفاد صبر:

- لا تصيبني بالجنون يا يوسف؟! ما لك وروان ما لها؟! ولماذا أنت بهذا الشكل؟!

أشرتُ لها بما يفيد زهدي في الكلام، قمتُ لأرحل واكتفيت بتوصيتها على حنين بصوت خافِت جاهدتُ لخروجه، ظلت تُحايلني وتُحلفني بالبقاء والكلام، دفعتها وأسرعت بالرحيل وتركتها تهرول خلفي بنداءاتٍ تضيع هباءً.

-٢٤-

عند دخول شقتي كنت مُهيأً للإيمان بالقائد ودستوره المخطوط في رسائله، أخرجتُ رسائله بشغف أتلوها بخشوع عابد لأستنبط ما كنت أجهله، حاكم عظيم يَصْدُقُ فيما يقول وسيفعل ما يريد، أما كيفية فعله فظلتْ طلاسمًا تأخذني للسحر والجن واللعنة التي حيرت العالم، زادتْ عليها طلاسم ما بقى من كلمات الرسائل، مبهمة تتفرع منها عشرات الاحتمالات والتوقعات، وأكثر ما يحيرني أن الفرعون يشركني معه فيما يخطط وكأننا سنحصل على جائزة حُكم الأرض معًا، أحيانًا أُلاحظ أنه لن يستطيع فعل شيء من دوني، وأن المصائب التي تحدث هي خطوة لازمة كي يجبرني أو يحفزني لأحصل على ما هو أفضل، والأدهى أن بداخلي نصفًا يلاقي قبولًا لهذا الغموض لا يفتر، تذكرتُ جملته في رسالته الأولى أنه بداخلي فأعدتُ قراءتها مرارًا واضطربتُ! هل كتبها مجازًا أم كان يعي ما يقول!! هل يريد إقناعي بأن روحنا واحدة؟ تحرش بذهني صدى يشبه هذا الكلام، تذكرت معرفتي السطحية بما يسمى نظرية تناسخ الأرواح، قمت أتجول بين مواقع

الإنترنت أللم أشلاء النظرية من هنا وهناك، حتى كونت ملخصًا لهويتها انضم لمخزون أفكار حيرتي:

فكرة مضمونها أن الروح بعد فناء الجسد لا تتلاشى، وإنما تظل هائمة في الكون تبحث عن جسد تسكنه وتولد فيه من جديد، لذا تشعر الروح في حياتها الثانية بحنينٍ أخاذٍ لمكان لم تره من قبل أو لأشخاص لم تقابلهم نهائيًا.

آمن بها الكثير من الشعوب والديانات، كانت بدايتها عند الفراعنة الذين اعتقدوا بعودة الروح إلى جسدها الميت، ثم تطورت للاعتقاد بانتقال الروح من جسد ميت إلى جسد آخر تحيا فيه.

هناك من وضع الاعتقاد بها في خانة الخرافات والكفر، لافتقادها لدليل شرعي أو دليل علمي قاطع، وهناك العديد من المفكرين والعلماء والفلاسفة أكدوا بأنها ظاهرة حقيقية ومثبتة علميًا، واستدلوا بأمثلة لا حصر لها مؤيدة لصحتها، ومثيرة لحد الإيمان الجازم بها.

لم أستطع تجاوز ما قرأته بسهولة، رأيتُ نفسي في مكان ما وسط هذه السطور، الفكرة بالعقل قد تبدو خرافة ولكن ماذا عن حنيني الملموس للأرض قبل اكتشاف المقبرة؟ هدوئي النسبي إزاء كل شعور وضده! استمراري حتى الآن بخوف ظاهري باطنه الأمان!

كانت الإجابة أجل روح الفرعون هي روحك!! استفقتُ أضرب خدي بقوة، أطرد هذا الوسواس الخزعبلي قبل أن يتملكني بمساعدة نصفي الغريب، واستعنتُ بنصفي الآخر الذي مهما نشط يجعلني أضعف من أن أتجاوز كل ذلك.

عدتُ لحياتي الواقعية أُقيّمها فوجدتني بين عائلة سأخسرها وامرأة لا ذنب لها على وشك الجنون أو الموت، لا أدري مصيري إن تكلمتُ أو صمتُ، كل النتائج تبدو سيئة الأثر، بموازنة كل الأمور انتهيتُ إلى ضرورة الانصياع لأوامر عاشمحب، وعدم المغامرة بصفاء بوضعها تحت دائرة ضوء الهلاك المحقق، لم تعدا كلمتان تثيران قلقي فقط، بل تهديد أُومِن بحدوثه...

كإيماني بشيء حدث بالفعل.

-٢٥-

بين جدران الأرض وقفتُ أتأمل أجواءها، أتمنى من أعماقي العودة لحياتي قبل اكتشاف المقبرة، أزحت الجِوال الذي أستخدمه كساتر ونزلتُ للمربع الأول، لاح طرف السلم فأكملت نزولي للغرفة السفلية، استدرتُ جهة الباب فانتابني الروع عندما رأيت الباب مفتوحًا، تلفَّتُ حولي أفكر هل انفتح بفعل دخيل أثناء غيابي؟ أم بُرهان جديد لحقيقة وجودي مع رجل يَصْدُقني القول وهو ميت؟! ترددتُ واقتربتُ ثم دخلتُ، أمامي سلم رخامي من عشر درجات نزلته بتوجس، الإضاءة المناسبة للرؤية ولا أعلم مصدرها جعلتني أرى ما لم يره هوارد كارتر!! غرفة كبيرة الحجم يسبح في جوها رائحة ذكية، سقفها مثل سماء مرصعة بقطع ذهبية براقة متناهية الصغر، يلتصق بالجدار الأيمن رفوف رخامية سميكة تحمل تماثيلَ ذهبية مختلفة الشكل والحجم، يفصلها عن بعضها تماثيل واقفة بحجم بشر حقيقيين، أرضيتها رخامية نظيفة، مملوءة بصناديق وتوابيت بديعة الزخرفة والتصميم، متراصة بنظام تجاور بعضها، وعلى يساري جدار ملتصق بالسلم ممتلئ بنقوش مختلفة، وأمامي ينتهي البصر إلى جدار به مربع مفتوح يبدو كمختبر

أبحاث وتجارب، يكتظ بقوارير بها سوائل مختلفة اللون، وأواني وصحون ذهبية بها أعشاب، وقدور معدنية مغلقة.

تجولتُ مسحورًا بما أرى، ألمس التماثيل الذهبية بحذر، وصلت لنهايتها فرأيتُ على بعد أمتار بابًا مغلقًا أكثر بهاءً من الباب السابق، منقوش على درفتيه المغلقتين شجرة مزينة بزهور لوتس حمراء، وأمام الباب لوحة ذهبية بها رسومات لِما يقرب من عشرة أشخاص لم أتبين أشكالهم أو ما هو مدون تحت صورهم لبعد المسافة، وعلى الجدار الملتصق بالباب نقش هائل الحجم لامرأة تمسك قدحًا به سائل أحمر تسقيه لميت، وتمسك بيدها الأخرى يدًا تمتد لها من السماء، وفوق النقش كلمات استطعت ترجمة أغلبها بخبرتي في معرفة الحروف الهيروغليفية.

"أنا الإله تحوت، أقدم لك الأبدية بوصفك
ربة السماء يا إيزيس
سينهض زوجك أوزوريس ويصبح عمره
عمر رع
فلتنعما بالحب والنقاء والفلاح"

إحساسٌ ما حال بيني وبين الاقتراب من ذلك الجزء، عدتُ للصناديق أتأمل شكلها البديع قبل أن أبدأ بالطواف حولها وفتحها، سال لعابي من منظر الحليّ وتنوعها وكثرتها، أقراط

وسلاسل وأساور وأقنعة ومقتنيات لا حصر لها كلها من الذهب، أنتقل من صندوق لصندوق بشغف جنوني، ويبدو أن يدي تعودت فتح كل ما يقابلها ففتحتُ تابوتًا دون أن أنتبه..

برزت لعيني جثة محنطة شكلها أفظع من كل شكل عفريت رأيته بخيالي، ابتعدتُ بحركة لا إرادية وتعثرتُ بتابوت آخر طرحني أرضًا.

وقفتُ منحنيًا يداي على ركبتيّ ألتقط أنفاسي، أضاعتْ المومياء أثر فرحتي بالكنوز، هدأتُ ورفعتُ رأسي فوجدتني قريبًا من الجدار الملتصق بالسلم، نظرتُ للرسومات المنقوشة عليه وقد بدتْ أوضح، جميلة متقنة رغم أني لا أفقه الكثير منها، تتبعتها يزيد اندهاشي من بعض النقوش الغريبة، جنود مشاة يمسكون أقواسًا ويصوبون أسهمها للسماء، وآخرون يمتطون أحصنة تخترق أسهم نبالهم ثيرانًا وحشية، أرانب بذيول طويلة ألسنتها بارزة تذبح ثعابينًا، جعارين وجعول تُمسك بأفواهها حليًا ويلتفون حول جثة محنطة، ماشية ذات قرون قصيرة يُحلب منها دماء، قرود بابون تأكل روث أبقار بيضاء اللون، غزلان وأوعال ونعام وإوز يسجدون لقطط سوداء، ثم رسومات أكبر حجمًا لرجال يضاجعون نساءً بأوضاع مختلفة، ثم تجمدتُ فجأة وقد استوقفني جنون جديد، تمعنتُ لأتيقن مما أرى فلم يكن للوهم مكان..

صبحي وإيمان في وضع جماع ... صبحي وإيمان في وضع جماع

صراخ ينتشر صداه بداخلي أكاد أسمعه واقعيًا، ما الذي يأتي بحياتي إلى هنا!! إما أتخيل وإما بداخل كابوس وإما حياتي زمن مكرر كان موجودًا في الماضي! وإما...!! توقفت عن التفسير فما أفكر به يصنفني أبلهًا أمام نفسي، نفختُ ضجرًا حتى كدت أنفث نارًا، أضفتُ النقش مؤقتًا لسلة محتويات الغموض لينهشني في وقت آخر، وقعتْ عيناي على مختبر الأبحاث، كل جدرانه منقوشة بإيزيس وأوزوريس والشراب واليد الممتدة من السماء، دخلتُ أنظر لمحتوياته بجهل قبل أن ألاحظ نارًا مشتعلة بركنه الأيسر، وفي منتصفه قِدر واسع يحوي طبقًا ذهبيًا يحمل حجرين كريمين أزرقين لامعين، نظرت لموقد النار بغرابة وفي رأسي ألف سؤال، كيف اشتعلتْ ومن أشعلها؟ حاولت الميل نحوها لاستكشاف هويتها فمنعني حاجز غير مرئي جعلني أفر هاربًا في ثانية.

عجزتُ أو ربما خشيتُ من اكتشاف جديد؛ اكتفيتُ وفضلتُ الخروج حاليًا، مشيتُ باتجاه السلم وأنا أنظر لنقش صبحي وإيمان بفضول لم أقاومه، لمحتُ على جانب السلم صندوقًا لا أدري كيف فاتتني رؤيته عند دخولي، تقلصتْ بطني من ذكرى الصندوق الأخير وقلادة صفاء، اقتربتُ منه مغمومًا مرتعدًا من وجود مفاجأة أخرى، أرخيتُ حبل زمام أمري لنصفي المتلهف لفتحه

وأمسكته، أتمنى حدوث معجزة أقل شأنًا مما أري تجعلني أجد رسالة من شريكي في حكم الأرض بها كلمتيْ المقبرة ملكك أو أنت حر أو حتى ارحل بسلام بدلًا من كلمتي الهلاك محقق، فتحت فوجدت سبيكة أكبر من سابقتيها ورسالة وزجاجة بها سائل أحمر، أجَّلتُ دهشتي التي ستنتهي بجهل تام عن هويته، أُقسم فقط أني لن أهديه لأحد فيتحول لأفعى تلتهمني، لم أقاوم فضولي بفتح الرسالة لرؤية آخر كلمتين فقط..

فوجدتهما كما هما ينذران بمصائب جديدة.

خرجتُ وصعدتُ السلم الخشبي حتى خرج نصف جسدي، داهمني شيء يلمس رأسي من الخلف وصوت تألفه أذناي:

- حبيبي يا جو.

سعد يصوب نحوي مسدسًا مزودًا بكاتم للصوت، أمرني بالصعود والرجوع خطوتين والجلوس واضعًا يديّ خلف رأسي، اِمتلك زمام أمري فابتسم:

- من لحظة دخولك عليَّ قرأتك وعرفت أن وراءك قصة كبيرة، كنت تظنني أحمقًا سأصدق حكايتك السخيفة عن العمل المجاني والبازار الذي تريد فتحه في حلوان؟ كنت تذاكيت قليلًا يا حمار، لماذا سيذهب السائحون إلى حلوان؟

هل لرؤية أول محطة في المترو أم الزحام الذي بسببه قد يتركون البلد بلا رجعة!

- كيف دخلت إلى هنا؟
- للأسف كنت مهملًا تترك متعلقاتك الشخصية كثيرًا في البازار لحين مغادرتك، صنعت لنفسي نسخة من كل المفاتيح للظروف الطارئة.
- ولماذا تضخم الأمر هكذا يا سعد؟ مسدس وتهديد وجو عصابات، طبيعي ألا أعطيك الأمان في البداية، أما الآن وثقت بك وأمَّنتك على سبيكة باثنين مليون جنيهًا.

ضحك بقوة لا تتناسب مع ما قلت:

- أأثبتُ لك أنك وجه فقر وهذا الأمر ليس مقاسك، كان قصدي بالدولار.

مال يلتقط السبيكة الملقاة على الأرض، ثم أخرج الأخرى من جيبه:

- هل قريبك يعيش بالأسفل مع مواسير المياه؟ وهل كنت تنوي إحضارهم لي بالتقسيط واحدة واحدة؟
- سعد أكرر عدم فهمي لأن تجعلني بهذا الوضع؟! الذهب كثير ونقوده كثيرة، كلانا سيتراضى بأكثر مما يحلم.

- كنت أتمنى ذلك يا صاحبي لكن للأسف الموضوع كبير.
- لا أفهم!
- محتويات المقبرة يجب أن تخرج في أسرع وقت قبل أن تشم رائحتها الحكومة وتصادرها.
- لو كنت أريد إبلاغ الحكومة لما انتظرت كل ذلك الوقت.
- والله أعرف وأُقدر وأصدقك، لكن للأسف الشبكة التي أعمل بها وضعت قانونًا صارمًا إن لم يُنفذ فستخرج روحي أنا، لا يجب أن يكون أحد أعضائها معروفًا لشخص غريب عنها، يشترطون تسليم الأمانة بلا ذيل، وأنت الذيل يا جو.

رفع مسدسه وصوَّب نحوي، بدأ أصبعه يتحرك للضغط على الزناد، انكتم نفسي وانكمش جسدي لا أصدق أن موتي قد حان موعده الآن، وفجأة انتفضتُ حين وجدته يطير من فوقي مثل كرة جولف ضربها لاعب محترف، فالتصق بالحائط بسرعة الضوء ثم سقط ساكنًا كقالب طوب، تصلبَّتْ أعضاء جسدي إلا معدتي انقلبتْ، تقيأتُ ما بداخلها حتى لم يبق إلا روحي التي تريد أنْ تخرج، ارتميتُ بظهري على الأرض كمصلوب أتساءل عن السر الذي يجعلني على قيد الحياة بعد كل ما أرى! أين السكتة القلبية والجلطات وماذا عن الانتحار! لا أستوعب فكرة وجود قتيل خلفي! فكرة لعينة تغتصبها فكرة ألعن عن كيفية موته! إن جرأتي

على مشاهدة فيلم رعب معدومة وها أنا أعيشه، لم أستبعد نزول تنين مجنح عليّ الآن، وبات منطقيًا أن يصحو سعد بعدما يتحول لزومبي، كانت المرة الأولى التي أستحلف فيها نصفي الغريب أن يساعدني، بل يحتلني ولا يفارقني، استجاب وأظهر حُسن نيته حين أعطاني القدرة على النهوض، وقع بصري على الرسالة والسبيكتين والزجاجة فأطعتُ إحساسي بأخذهم من فوري متجنبًا صراعات نفسية بدأتُ أنفر منها، ثم خرجتُ لا تطاوعني نفسي أن ألقي ولو نظرة واحدة.. على قتيل في أرضي!

-٢٦-

أثناء فتح باب شقتي كنت أتخيل وزارة الداخلية بانتظاري بتهمة قتل سعد، ثم يدخلونني غرفة بها المحكمة والقاضي، ثم يتم تنفيذ حكم الإعدام بغرفة أخرى، وثغرة إنقاذي الوحيدة هي نقلي لمستشفى الأمراض العقلية بعد صراخي بأن من قتله قوة خفية أرسلها رجل مات منذ آلاف السنين، اللعنة عليك يا سعد، تحولت من أقرب الناس لقلبي لأبغضهم وأبليتني بخطر أطول من أيام عمري، غمرني الانسياق وراء عواقب تلك الكارثة بشوق لحنين، أخرجت هاتفي لأسمع صوتها وأنا أتوقع مكالمات فائتة ستفتح جراح الإهمال والقلق مع بسمة وروان، تفاجأت بخلو الشاشة من محاولة اتصال واحدة!

أحداث المستشفى مع روان تبرر عدم اتصالها أما بسمة! اتصلتُ بها فجاءني صوت حنين:

- نعم يا بابا.

كدتُ ألتهم الهاتف وأنا أقَبِّله:

- كيف حالك يا حبيبتي، أفتقدك كثيرًا ياحنين، أنا أحبك جدًا.
- وأنا أيضًا أحبك جدًا.

حالتي كانت فرصة جيدة لعلماء النفس لدراسة أقصى مشاعر الأبوة.

- بابا، عمتي تسألك هل أنت قادم؟
- أين هي يا حنين؟

سمعتُ همهمة قبل أن يأتيني صوت حنين مرة أخرى:

- تقول إنها في الحمام وهي بجواري أصلا يا بابا.

ابتسمتُ رغمًا عني وعلمتُ أن بسمة متحفظة إزاء معاملتي لها في الموقف الأخير.

- أخبريها أنني سآتي غدًا، وسأشتري لك لعبة جديدة وأشياءً حلوة وسنلعب مع بعضنا كثيرًا.

أغلقتُ وانتقلتُ بأفكاري لروان، مقياس تفسيرها لحالتي المزرية بالمستشفى يصنفني خائنًا، ولو علمتْ الحقيقة لتحوَّل شكها في حبي لامرأة أخرى لدعوات بأن نتزوج قبل إصابتي بالعجز الجنسي، ألغيتُ فكرة اتصالي بها لكون الحدث أكبر من أن ينتهي

أثره بمكالمة، أضاء شاشة الهاتف اسم صلاح، كان مثل تيار هواء في طقس حار، رددتُ بلا وعي لكلماتي:

- صلاح! أين أنت؟
- في العمل يا يوسف، ما له صوتك؟
- أحتاج للكلام معك.

اضطرب:

- بسمة وحنين بخير؟
- بخير يا صلاح أنا من أحتاجك.
- لا توترني!

لم أجد ردًا.

- عامة سأستأذن من العمل وأسافر إليكم غدًا، سأنتظرك لنتغدى معًا.

تركته لقلقه الذي سيزداد مع بسمة عندما يتحدثان ليهلكا نفسيهما تحليلًا لِما أنا فيه، عدت لغنائمي المُجبر على اغتنامها وبدأتُ بالرسالة:

اعلم من الآن أنك طرقت الباب لتبدأ خطوات قيامنا ببركة من الآلهة، عليك أن تنفِّذَ كل أمر ولا تتوانَ بأية حال، أسرع إلى

تلك المنحة التي وُهبنا معجزتها برضا ينبع من قلبك، واجعل روحك تصغى إلى وحي الحي أوزوريس الحاكم على ما قد فنى، ونور السماوات إيزيس الساكنة قلوب الطيبين، اجعل وحيهما وثيقة تجعلك أمامهما ظافرًا مبرَّأً مستحقًا لبركتهما، لا تخش على أحبتك مادمت تفطن أوامري، أنت وهم في حظوة الآلهة، وإني لجاعِلك تحت حمايتي، أُفني عدوك، وأُهلِك كلُّ مَن يسيء إليك بكلام، وألحق الوباء بأعضائهم بلا التئام، اِجعلهم تحت نعليك ودعني أحدثك عن إعطاء الأبدية والخلود لروح عاشمحب وروحك، سأكتب إليك في رسائلي لأعلمك قواعد إعداد معجزتنا، ضع حجري اللازورد على النار وإياك أن تخمدها، لا تأخذهما إلا حين انتهاء قربان الآلهة المقدس، افعل ما أقول بنفسك وسيأتي إليك من يساعدك، امقت الكسل وإلا تذكر جيدًا:

الهلاك محقق

بجهد عقلي كبير حاولت تقييم إيجابيات وسلبيات الرسالة، انتهيت إلى استمرار رغبته في تنفيذ معجزة ستجعلنا أحياء خالدين، الاطمئنان على من أحب بالطبع يقصد صفاء، حمايتي

والتوعد لأعدائي، تمنيت ألا يقصد ما رأيته يخص صبحي وإيمان، هناك قربان سيُصنع من محتوياته حجريْ لازورد بمساعدة مجهولة، إضافة إلى الهلاك المحقق الذي أتمناه له.

أما أول نقطة مضيئة في طلاسمه فهي مشاركتي معه في صلتنا بأوزوريس وإيزيس، رغم معرفتي السطحية بأسطورتهما الفرعونية حاولت قراءة قصتهما كاملة لعلي أجد إشارة لمنطق:

> تولى أوزوريس عرش مصر واتخذ من إيزيس زوجة وملكة، أقام في مصر والأرض كلها حضارة عظيمة، الأمر الذي أثار غيرة وحقد أخاه سِت، فتتطلع سرًا للتخلص منه ليترأس الحكم مكانه، صنع تابوتًا ذهبيًا على مقاس أوزوريس تمامًا وجهز وليمةً كبيرة، أوهم الحضور أنه صنع هذا التابوت ليهديه لأي شخصٍ يناسب مقاسه، جربه الجميع ولم يناسب إلا أوزيريس، أغلق سِت التابوت وربطه ورماه في النيل بمساعدة أعوانه، جرفه التيار إلى البحر ثم حملته الأمواج إلى مدينة جبيل بلبنان، نمتْ حوله شجرة طرفاء كبرتْ بسرعة مذهلة واحتوته بداخلها، وعندما رأى ملك المدينة عظمة الشجرة أمر بقطعها لتكون دعامة لقصره دون أن يعلم ما بداخلها.

تملَّكَ إيزيس حزن طاغ بسبب اغتيال أوزيريس، وانطلقت تبحث عن التابوت بلا أمل، حتى ذاعت شهرة شجرة يفوح منها رائحة عطرة وصَلتْ مسامع إيزيس، فهمتْ حقيقة الأمر فتوجهتْ إلى المدينة وحصلتْ على الشجرة، استخرجتْ منها تابوت زوجها وعادتْ به إلى مصر، ثم أدتْ شعائر التحنيط بمساعدة الآلهة الأخرى ومنها: تحوت، الإله ذو القوى العظيمة على السحر والشفاء، وبسبب مقدرتها الفائقة في السحر أنشأتْ تعويذة سحرية أعادتْ أوزوريس إلى الحياة، حملتْ منه بابنها حورس وأخفته وتفرغت لتربيته حتى يكبر وينتقم لأبيه، عاش أوزوريس ملكًا على مملكة الموتى، وكبر حورس واستعاد عرش حكم مصر من سِت.

تحولت حواسي لرادار يلتقط ما يربطني بذلك الخيال ولم أجد، لم تمهد لي القصة طريقًا ينتهي بالوصول لهدف، ولكن غرابة ما أراه في المقبرة وأقرأه في الرسائل لا يقنعني بأنه لغو لا قيمة له، هناك حقيقة تختبىء في تلك التفاصيل المظلمة..

وأن الأمر أشمل وأعمق من إدراكه كاملًا في ظل المعطيات المتاحة لي.

-٢٧-

لم تشكل غرابة الأحداث الجديدة ووجودي تحت حماية الفرعون حاجزًا يمنعني عن القلق من عواقب موت سعد، جثته قنبلة موقوتة تحت قدميّ، لو استسلمت لجُبْني وتركتها بحالتها فالهلاك محقق بلا عاشمحب، فكرت في طريقة لإخفائها فوجدتني صفر اليدين، دفنها في الأرض تأجيل مؤقت لعواقب ارتكاب جريمة، وإخراجها من مكانها للتخلص منها في مكان آخر مخاطرة فوق قدراتي، وتقطيع جسده للتخلص منه كأجزاء يجعل فكرة الإعدام أهون، لم أستطع التغافل عن ضرورة الذهاب وإرغام نفسي على إيجاد حل سريع آمن، دخلتُ وأغلقت الباب بسرعة، أُحفز نفسي على النظر لسعد فهذا ليس وقت رفاهية طاعة الحالة النفسية، ضممتُ قبضتيّ أستجمع شجاعتي والتفتُ فتفاجأت بعدم وجوده! بحثتُ في كل مكان خارج المقبرة وخارجها فلم يكن له أثر! تَصارَعَتْ الحيرة مع الراحة لأسري فانتصرتْ الأخيرة، الفرعون لا يتحدث عبثًا عن حمايتي، طردتُ من رأسي تحرش كلمات كيف ومتى وأين لحل لغز اختفاء الجثة وشكرته في نفسي على تلك الخدمة الجليلة...

وإن كان هو السبب في مصائبي.

كان الذهاب للبازار هو القطعة الناقصة لتكتمل صورة البعد عن الاتهام بجريمة وأي توابع لها؛ من جهة أعرف الوضع ومن جهة أخرى لا يكون اختفائي المفاجئ خيطًا لضابط ذكي يربطني بالحادثة، وجدت البازار مغلقًا فسألت عنه جيراننا، أخبروني بسفره لأداء عمرة وسيعود بعد أسبوعين، اللعين اتبع أثري في الكذب ليختفي عن الأنظار بسبب مقنع كي يتفرغ للمقبرة، هدأتُ لوجود أسبوعين لن يواجهني فيهما خطر الصلة بجريمة قتل، يزيد اطمئناني من وجود السبيكة معي لئلا كان وجودها بالبازار خيطًا آخر يهددني.

في طريقي لبسمة اتصلتْ صفاء، انتابتني لهفة شديدة لسماع صوتها:

- السلام عليكم يا يوسف.

هي صفاء الطبيعية التي تحدثني:

- صفاء الحمد لله أنكِ بخير، ماذا حدث وما حكاية الصدمة العصبية! احكِ لي كل شيء.
- ليس وقته، عندما نتقابل في المكتب سنتحدث، أردت فقط شكرك لأنهم حكوا لي تأثرك الشديد عندما زرتني في

المستشفى، جميعهم تعجبوا لأنهم لا يعرفون مدى اعتزازنا بصداقتنا واحترامنا لبعضنا.

أدركت أن مكالمتها تهدف لغرض يخص تساؤلات شائكة من ذويها عن رد فعلي في المستشفى، وبجوارها من تريد محو شكوكه:

- أكيد يا صفاء ذهابكِ وحجزكِ بالمستشفى أقلقني، أنتِ تعرفين قدركِ ليس عندي فقط بل عند الجميع، ربنا يحفظكِ لزوجكِ وأولادكِ.
- ربنا يسعدك ويحفظ لك حنين.

أغلقنا وأنا بإحساس ناجٍ من رمالٍ متحركة قبل ابتلاعي، ارتضيت مؤقتًا بثبات الوضع من حولي على ما هو عليه، أتحاشى استسلامي للخوف من مصيبة تكرار ما حدث لصفاء، أو استيقاظي يومًا وأنا أحتضن جثة سعد، بقيتْ روان، تلك المرة الأولى التي أشعر أني وضعت على قلبها صخرة حزن، إهمال وبُعد وشك في حب امرأة غيرها، تذكرتُ ملامحها بالمستشفى فكأن تقديري المناسب لصدمتها كان مؤجلًا، وخزني الندم بقوة ولكن لم يبدُ الوخز كان عقابًا كافيًا حين وجدتُ والدتها تتصل.

بصوت حاد رسمي عاتبتني:

- ماذا يحدث مع روان يا يوسف؟ لا تكف عن البكاء ولا تريد ذكر السبب!
- لا شيء يا طنط، سوء تفاهم بسيط وأنا المخطىء.
- بكاؤها يعني أنه شيء ليس بالبسيط! إنها المرة الأولى التي تداري عني ما يحزنها!
- سأقابلها اليوم وأعدكِ أننا سننهي خلافنا ولن يتكر...

قاطعتني واتخذت أول خطوة ملموسة داخل دائرة علاقتي بروان:

- اسمعني جيدًا، حديثي معك في المكتب لا يعني أني سأراك تؤذيها فأتوسل إليك ألا تفسد حياتها، سأبعدها عنك ولو بالإجبار وسأضاعف لك الأذى، اعلم ذلك جيدًا.

أغلقتْ دون انتظار ردي، انتابني خجل مخز وتقبلتُ كلامها من منطلق شراسة أم غاضبة لابنتها، اتصلت ببسمة لأخبرها بقدومي فأوكلتْ مهمة الرد لحنين، أيقنتُ أن مهماتي كبرى في إصلاح ما أفسدته من حالاتهم النفسية، انتبهت لرائحتي فوجدتني مكسو بعرق معتق ينافس زجاجة خمر عمرها ألف عام، سأضع في حسباني أنه سبب لن يُنطق ضمن أسباب غضب روان وبسمة التي سيكووني بها، رجعتُ للمنزل استحممتُ فعدتُ للآدمية، تهيأتُ وخرجتُ باتجاه بسمة أثناء مكالمة من صلاح

يخبرني بالقدوم خلال ساعة، ارتبكت من التفكير في إخباره بما يستحق تضحيته بالقدوم.

قابلتني بسمة بغياب ابتسامتها المعتادة، حاولت مداعبتها لم تستجب وتركتني متعللة بالطعام الموجود على النار، جاءني صوت ملاكي الصغيرة تجري نحوي، حملتها أضمها لصدري أهديها قبلات ملَّتْ من كثرتها، مرت نصف ساعة من الاندماج معها في اللعب حتى وصل صلاح، احتضن زوجته واستقبل حنين التي تركتني مع ألعابها وهرولتْ نحوه، رآني فجاء متلهفًا، صافحني بملامح متسائلة، توترتُ توترًا مفضوحًا فمال نحوي وهمس:

- إن كان هناك ما لا تريد الإفصاح به أمام بسمة لا توجد مشكلة، نؤجل الحديث لبعد الغداء ونذهب معًا لأي مكان.

ابتسمت ببلاهة:

- لا تتوتر هكذا، تعالَ اقعد واسترح أنت قادم من مشوار بعيد.

جلسنا وجاءتْ بسمة على كرسي مجاور وجلست مترقبة، يبدو أن النار لن تحرق الطعام الآن، حاوطنا الصمت ينتظر من يقطعه، تشجعتُ لأنهي الأمر سريعًا:

- كل الموضوع أحتاج مبلغًا لحين بيع شقتي.

لم يحوّل نظره عني لثوان، ثم التفتَ لبسمة بغرابة غير مقتنع بما قلت وعاد إليَّ:

- حبيبي أنت تأمر، أنا من أترجاك لرفع الحرج بيننا، لكن بالأمانة هل جعلتني أترك عملي لهذا السبب فقط؟

بدوت أبلهًا ثقيل الدم حين ألقيت مزحة في غير وقتها:

- يا أخي افتقدتك وأردت رؤيتك.

عمَّ صمت لثوان أخرى:

- لكن يا يوسف كان من الممكن أن تخبرني في الهاتف وأحول لك ما تحتاجه.
- آسف يا صلاح، أعرف أني بالغت وتسرعت فيما سبَّب تعبك، حقك عليَّ.

ربت على فخذي وابتسم ليعفيني من الحرج:

- لا عليك أحسستُ فقط بأن هناك مصيبة.

تولت بسمة الرد:

- بالفعل هناك مصيبة يا صلاح، الأستاذ أتى بك لأجل مشكلة عاطفية، لكن واضح أنه غيَّر رأيه ولا يريد إخبارك.

قامتْ واقتربتْ وواجهتني:

- أخبره بما أخبرتْني به روان وحدث في المستشفى.

تعجب صلاح:

- مستشفى؟

أكملتْ بسمة:

- إحدى زميلاته مرضتْ وحُجزتْ بالمستشفى، اسأله كيف كان منهارًا بسببها؟

حاولتُ بناء خط دفاع:

- ما المشكلة؟ زميلة أقدرها وأحترمها تأثرتُ عندما رأيتها بتلك الحال.
- تقدرها وتحترمها!! وهذا التقدير هو ما جعل خطيبتك التي من المفترض أنها امرأة هي من تحملك وتسندك حتى أتت بك إلى هنا؟!

قمت منفجرًا في وجهها:

- بسمة، لا شأن لكِ ولا تتدخلي.

رمتني بنظرة لم أعاصرها معها من قبل:

- لا شأن لي؟! بالفعل ليس لي شأن ولكن بك أنت، وإن كنت أخفيت عني علاقة مع إحدى زميلاتك فذلك شيء يخصك وحدك ولن أعاتبك، أما روان فهي عندي في ذلك الموضوع أهم منك، ولن أسمح لك بأن تجرح مشاعرها أو تستمر في علاقتك معها.

تركتنا ورحلت، ينظر إليَّ صلاح بانتظار حل لوغارتيمات إجابتها معي فقط، لم أكن في حالة تسمح بتوضيحات رغم تقديري له، اكتفيتُ بوضع يدي على كتفه:

- ما قالته ليس كما يبدو يا صلاح، اجعلها تهدأ وأنت لا تقلق، سأذهب لمقابلة روان وسأتحدث معك لاحقًا.

خرجت وللمرة الأولى أترك جنتي كشيطان، أمشي بتيه روح خبيثة يلفظها العالم، ازداد حجم تقديري لغضب والدة روان وبسمة تضامنًا مع روان، أشعر بصعوبة إقناعها بلقائي الآن، بذلتُ مجهودًا نفسيًا مُجهِدًا كي ترد وأكبر منه لتوافق على مقابلتي، في الكافيه المعتاد استوتْ في ركن هاديء، حسناء شاردة يتوهج حسنها كلما اقتربتُ، لم يحجب وجهها الشاحب رؤيتي لها كماسة من جمال، جلستُ أمامها ألمس يدها فأبعدتْها، بدأتُ أتكلم وهي مُعرِضة بوجهها عني:

- والله، وحياة حنين وبسمة، وحياتكِ عندي، لا يوجد في قلبي ذرة حب لامرأة غيركِ، وموقف صفاء لا علاقة له بأي أحاسيس عاطفية.

شبكتْ ذراعيها ببعضهما وتنهدتْ دون كلمات.

- روان اسمعيني جيدًا، أنا متغير وسأبقى متغيرًا بعض الوقت لسبب سأخبرك به في الوقت المناسب، لو اكتشفتِ حينها أني أخدعكِ ولا أقدركِ فلتقتليني إن أردتِ.

زمَّتْ شفتيها بعدم رضا، أردفتُ:

- قد يكون الكلام غريبًا ولكن لحين أن يكون منطقيًا بالنسبة لكِ تحمليني.

رنَّ هاتفي برقم غريب فالتفتتْ إليه بغريزتها الأنثوية، نظرتْ إليَّ بحاجب مرفوع عن الآخر، ابتسمتُ بثقة قديس طاهر وضغطتُ زر الفتح ثم ضغطتُ زر مكبر الصوت:

- آلو...

- ما حكايتك يا حاج يوسف؟ نسيتني أم أرحت دماغك من بناء عش الزوجية؟

كان إيهاب الذي ليتني قتلته قبل أن ندخل إلى الأرض، يحاصرني بمأزق حاولت تفاديه:

- هل هذا رقمك يا إيهاب؟ غريبة لم يظهر لي باسم.
- أكيد اتصلت من الخط الثاني، افرح فلا يملكه كل الناس وقد أصبح معك الآن، قول لي مـــ.....

قاطعته بأمل أن يبتلع لسانه بعد ثانيتين:

- تمام يا إيهاب أنت بخير؟
- بخير يا حبيبي، لم تحدثني منذ لقائنا لرؤية الأرض! ماذا نويت؟

أضافتْ روان لمقادير غضبها مني نظرتيْ حسرة واستنكار.

- مشغول وسأحدثك عندما أكون جاهزًا يا إيهاب.
- يا ابني الدنيا سريعة الغلاء في كل شيء ولا بد منـ...

أغلقتُ الهاتف في وجهه وفي مخيلتي أصفعه، انعكس الوضع ولم أستطع النظر لروان، لمحتها تقوم وتلتقط حقيبتها لترحل، أحسسته رحيلًا بلا رجعة، قمت أستعطفها بالبقاء، لانتْ وجلستْ ولكن في وضع تأهب للرحيل المفاجيء.

- روان، كل ما يغضبكِ مني بسبب الأرض.

التفتتْ بنظرة متسائلة، أردفتُ:

- التغير وأسبابه بسبب مشكلة كبيرة تخص الأرض، لكن كما قلت لكِ ستعرفينها في الوقت المناسب.

تخلص صوتها من قيوده لأول مرة منذ أن جلسنا:

- ولماذا لا يحق لي معرفة كل شيء الآن! سواء كنت في مشكلة أو قمت بشيء خاطيء أو حتى هناك ما يسبب لك المتاعب! من ينبغي أن يكون بجانبك؟
- روان من فضلك كل كلمة قلتها أقصدها حرفيًا، أريد مهلة تحمَّليني فيها، وما أطلبه لا علاقة له بتهميشكِ أو عدم ثقة بكِ أو أي كلام من هذه النوعية.

هزت ساقيها بعصبية:

- حاضر، وهل تلك المهلة طويلة؟
- شهر.
- تمام، هل هناك شيء آخر؟
- أكيد، أكثر ما يهمني ألا تكوني حزينة ومهمومة بسببي، كوني واثقة أني أحبك ولن أفرط بك مهما حدث.
- تمام.
- واضح أنك تريدين التهامي ولكنك مترددة، على العموم بسمة قامتْ بالواجب وأخذتْ لكِ حقكِ، وتلك أول مرة تتشاجر معي.

تجهمَتْ وسألتني عن التفاصيل، حكيتُ لها موقفيْ والدتها وبسمة، رجوْتها أن نتصل بوالدتها لنخفف شراستها معًا، نجحنا في تهدئتها ولكن ظاهريًا دون اقتناع، ثم استأذنْتُها في الذهاب لبسمة وصلاح فالوضع يتطلب وجودها فلم تمانع، رحب بها صلاح وبسمة وتعلقتْ بها حنين طوال فترة وجودها، أقنعتْ حالة روان الهادئة نسبيًا حالة بسمة بالتفاؤل، تصالحنا وهدأ الجو العام وانطوتْ صفحة المشكلات السابقة بشوائب بسيطة، أعاهد نفسي على الالتزام باتباع أسلوب لا يطوقنا بهذا الهم الثقيل مرة أخرى.

وقف صلاح وبدا أنه سيذيع خبرًا عاجلًا:

- بما أننا موجودون جميعًا وقد أصبحنا عائلة واحدة فهناك خبر أعتقد أنه سيسعدكم.

تعلقت به أعيننا تنتظر بشغف.

- بسمة حامل.

لو تخلصتُ من رعب المقبرة وحصلتُ على أموالها وتزوجتُ روان وأنجبتُ منها؛ لن أشعر بسعادة تتفوق على سماعي لهذا الخبر، حتى هذه اللحظة لم أكن أدرك أني أحبها بذلك القدر، قمت احتضنتها طويلًا حتى بكيتُ، طبطبتْ على ظهري بحنوّ وقد أثارتْ سعادتي بها مشاعرها الرقيقة فنزلتْ دموعها.

- كفى يا جماعة سأبكي، أضعف جدًا أمام هذه اللحظات.

قالتها روان فقمتُ أمسح دموعي وأُقبّل يد بسمة، نظرتْ في عيني وأكملتْ هي مسح دموعي:

- إياك أن تحزنني بعد ذلك.

أومأتُ لها برأسي بالنفي، جاء صلاح يربتُ على كتفي فقمتُ واحتضنته أبارك له.

صممتُ على توصيل روان رغم محاولتها إعفائي تجنبًا لوقت سيضيع ترى أن أقضيه مع بسمة، نبَّهتني في الطريق لوضْع حنين مع بسمة خلال المرحلة القادمة، الراحة التي يحتاجها حمل بسمة قد تتأثر بوجود حنين، تبادلنا النقاش الذي انتهى إلى ذهاب حنين إلى حضانة فترة الصباح، ثم المكوث عند روان، اقتنعتُ رغم علمي بثورة رفض ستشعلها بسمة، لا يقلقني إلا تأقلم حنين مع الوضع الجديد، وإثارة خواطر "حماتي" التي ستوجهها أني دخلت حياتهما بلا فائدة، أراها بخيالي تلطم خديها وهي تصيح في وجه روان:

- "أنتِ أيضًا ستربين له بنته!".

-٢٨-

في المقبرة وقفتُ موليًا ظهري لنقش إيمان وصبحي بعدما سئمتُ من النظر لتفاصيله، مشهد لم يجرؤ خيالي على تصوره يومًا، أتأمل الصناديق المترامية أمامي بحلم امتلاكها بلا خوف، قضيتُ وقتًا في التجول تصحبني أمنيات واحتمالات وألغاز بلا حل، اتجهت لمختبر الأبحاث والتقطت الحجريْن النفيسيْن، مبهران الشكل والملمس يبثان في نفسي رائحة الثراء وفي النهاية مصيرهما النار، وضعتهما وأنا أتأملهما بحسرة، يُخفف من روعي تعويضٌ يفوقهما بالكنوز المتناثرة حولي، لحظات وتحرشتْ بجسدي نسمات ساخنة، تراجعت بعيدًا عن النار مستبعدًا أنها السبب، ثم بدأت أشعر بظل خفيف يُخفت الضوء من حولي كغيمة تمنع عني ضوء الشمس...

- مرحبًا يا سيدي.

نظرتُ خلفي نحو مصدر الصوت فرأيتُ عملاقًا عارِ الجسد يغطي وجهه الذي بدا لي ناريًا! قفزت للخلف رعبًا! اصطدمتْ مؤخرة رأسي بجدار.. فسقطتُ فاقدًا للوعي.

استفقتُ ببطء، لا فراغ بذهني إلا لِما رأيته قبل إغماءتي، هل حقًا بُعِثَ الفرعون من موته؟! أم أنها هلاوس شدة الضغط العصبي؟! حركتُ رأسي التي تؤلمني من أثر الاصطدام والسقوط، اِلتفت بجانب وجهي حذرًا لألمح بادرة تؤكد لي حقيقة ضد الدين والعلم والعقل والجنون، وتأكدتُ، العملاق منتصب بحجمه المهول ونفس هيئته لا ينقصني إلا صوته، وكآخر محاولة للنجاة لم أجد لي غيرها؛ قرصتُ ذراعي بقوة لعلي أصحو من كابوس فلم أجد إلا ثلاث حقائق:

أنا مع ميت عاد للحياة.

أنا بصدد مجهول سيحدث ربما موتي.

أنا لا أصلح لروان إن نجوت فرسميًا.. أصبحتُ عاجزًا جنسيًا.

- مرحبًا يا سيدي.

سمعتها ثانية لكن بلا إغماء رغم نفس درجة رعبي.

- أنا برقان قائد رَصَد المقبرة الخاص بك، مأمور من الآلهة أن أظهر لك، طاعتي لك واجبة، لن أؤذيك بل واجبي حمايتك وخدمتك.

لم يسعفني أي منطق يجعلني واقعيًا بصحبة جني يحدثني برفق وكأنه عبدي.

- إن كانت هيئتي الحقيقية تزعجك فلتأمرني لأجعلها هيئة من بني جنسك.

راقني العرض، هززتُ رأسي بالموافقة دون أن أنظر.

- تم ما تريد يا سيدي، أُنظر بأمان.

تفاوضتُ مع نفسي للنظر فأقسمتْ بالرفض، لويْتُ ذراعها حين أقنعتها بأن ذلك هو ثغرة الاطمئنان الوحيدة، حركتُ رأسي ببطء ونظرت فوجدته بهيئة إنسان وزي فرعوني، طويل القامة بارز الصدر أصلع يميل إلى السمرة، يشبه كهنة الفراعنة كما يبدون في المسلسلات التاريخية، لم يكن فزعي كحالته الأولى وإن كان لا يزال يملؤني، فكالعادة بدأ نصفي الغريب في تصدير شحنة هدوء لنصفي الحقيقي تنتشر في كياني، ومع ذلك لم أقدر على النهوض بل زحفت للوراء حتى التصق ظهري بالحائط أشجع نفسي لأواجهه.

- ماذا تريد؟
- مساعدتك لتتم معجزتك الفريدة.
- أي معجزة؟
- حياتك الأبدية مع القائد عاشمحب.

رمقته بغيظ رغم خوفي الساري في أوردتي:

- سئمت من هذه السخافات، كيف حياة أبدية دون موت؟ وماذا يعني مع عاشمحب؟

لم يرد بل اكتفى بالنظر إلى باب الشجرة المغلق، نظرتُ معه وفطنتُ إلى أنه لا يزال أمامي المزيد من الجحيم.

- من قال لك تساعدني؟
- سيدي سمندس.
- سمندس من؟
- مولاي عالم الأرض والزمان والمواقيت.
- ولماذا تساعدني فيما يخص عاشمحب؟
- لأنه روحك في الزمن السابق.

لم أقاوم استفزاز الكلمات فانفعلت قليلًا:

- وروحي في الزمن السابق لماذا تذكرتني فجأة؟
- جزء منها يملأ نصف جسدك الآن.

كانت أول جملة تعيد توازني لأتعامل مع الأمر كحقيقة، ما قاله ليس خيالاً:

- ما الذي بداخل نصف جسدي بالضبط؟

- قائد رصد المقبرة الخاص بالقائد عاشمحب، يحمل جزءًا من روحه الهائمة في الكون لتتآلف مع روحك ويسكن بداخلك.

كلماته رمح نفذ من الأرض واخترق مؤخرتي؛ نهضتُ أدور حول نفسي وأتحسس جسدي كأني أتخلص من حية تطوقني.

- أنا ملبوس؟ أنا بداخلي جن؟!
- ليستْ روحه شرًا، بل هي ما ترشدك للصواب.

فسَّر بشكل قطعي إحساسي بالهدوء إزاء كل ما يحدث وأعظمهم حديثي الآن مع جني بهذا الثبات.

- كل ما يحدث معي وليس شرًا! رجل ميت يحركني وجني يحاورني وليس شرًا!
- القائد عاشمحب هو أنت، ولن تتعرض لسوء فأنا هنا لمساعدتك وحمايتك.

وفَّرتُ الخوض في جدال جملته الأولى، انتهزت فرصة تأكيده على حمايتي وحاولتُ وزن مدى قدراته:

- تحميني من أي شيء؟
- أجل.
- أريد الخروج من هنا آمنًا ولا يصيب من حولي مكروه.

للمرة الثانية كان رده النظر إلى الباب المغلق.

أغمضتُ عيني بيأس مقنع، فبالتأكيد لن يحدث كل ذلك وينتهي عندما أطلب ذلك من جني، مشيت خطوة تلقائية ثم توقفتُ توترًا منه، اتخذ جانبًا كوزير سيمر سلطانه فتنحى من طريقه احترامًا.

- وما المفروض أن يتم الآن؟
- تنفيذ المطلوب لتنعم أنت والقائد عاشمحب بالحياة الأبدية.
- يا سيدي أنا أريد الموت ولا أرغب في حياة أبدية.
- بل أنت سيدي، ولن تموت.

بدا لي كروبوت يردد معلومات يخزنها، زفرتُ بضيق:

- والمطلوب؟
- سنبدأ بتحضير قربان الآلهة.
- وضعتُ الحجرين على النار، ماذا بعد ذلك؟
- الحجران سيوضعان فوق محتويات القربان عندما يكتمل.

تمنيتُ ألا يباغتني بأنني سأكون إحدى هذه المحتويات:

- وما هي المحتويات؟
- قلب من كل كائن حي ذكر.

ردي كان سيكون كلمة اعتراض خارجة من ثلاثة حروف، لم يكن الحياء هو ما منعني من نطقها، بل التراجع خوفًا من رد فعل جني قد يبتر قدمي أويفقع عيني.

- ماذا! قلب كل كائن حي؟!
- ذكر.

حدجته بغلٍ ثم ضربتُ كفًا بكف لا أصدق أن هذا الكلام يُقال لي، أردفتُ:

- أليس من البديهي معرفتك بأنك تحدث إنسانًا قدراته لا تصل لتحقيق ما تقول! أم أنك تتكلم بهراء لا تفهمه!
- أنا من سأجهز المحتويات لك باستثناء محتوى واحد، أنت ستقدم للآلهة إناء القربان فقط.

جديته وثقته أصابتاني بخلل في الاستيعاب:

- هل تحاول إقناعي بأن كلماتك جادة وستحدث بالفعل؟
- أجل.
- ولماذا قلب كل كائن حي؟ ما هذا الاختيار العجيب؟
- ذلك علم سيدي سمندس، سيصبح أعظم قربان مُنح للآلهة، فتمنحك الحياة الأبدية والخلود.

فكرت ولا أعلم في ماذا أفكر! حاولت قبول ما أسمع ولكن ماذا أقبل! خطر لي شيء فسألته بتوجس:

- كل كائن حي ماذا يعني بالضبط؟ هل الحيونات والطيور والسمك والحشرات وهكذا؟

بادر بما كنت سأسأل عنه وكأنه قرأ أفكاري:

- والإنسان.

تزلزل قلبي ولطم خوفًا أن يكون هو المقصود وهددني بالتوقف عن النبض إن لم أعلم الحقيقة:

- هل سيكون قلبي أنا يا ...
- برقان خادمك، وليس قلبك هو ما سيوضع في القربان، أنت لن تموت، إنما قلب أي رجل مضى على نبض قلبه خمسون عامًا.

لا أعرف متى سأجد ساترًا من هذه القذائف المدوية!!

- أرجوك بهدوء، ما تقوله يعني أن هناك شخصًا سنه فوق الخمسين عامًا ستقتله وتأخذ قلبه؟!
- أجل وهو المحتوى الوحيد المطلوب منك اختياره بحكمتك.

ثم أخرج خاتمًا فضيًا ووضعه بين قدمي وأكمل:

- عندما تختار المختار للقربان وجِّه الخاتم نحوه وقل تم يا برقان، سيكون قلبه بيدي.

كانت المرة الأولى التي أشعر فيها برغبتي في صفعه، لو كان هو أو قائد المقبرة أو سمندس ذلك المجهول الذي لا أعرفه أو آلهتهم يملكون ذرة علم عني؛ لأدركوا أن ما يُقال فوق قدرتي لن أستوعبه، وإن استوعبته فلن أصدقه، وإن صدقته فلن أفعله، إن ذكرى قتل سعد تكاد تصيبني بتبول لا إرادي ولست أنا من قتلته، فبأي ثقة يظن أني قد أحرضه على قتل رجل! هل ما حدث لصفاء؟؟ ربما يزلزلني تخيل مصيرها الغامض ولكن هل سيجعلني متساهلًا لدرجة إنهاء مصير غيرها؟! كان يكفيني ما سمعت ويكفيني مناقشتي لجني بهذا الثبات، ألقيت الخاتم بين الصناديق، ثم هممت بإنهاء الحديث معه فسبقت كلماته كلماتي وهو يشير بأصبعه خلفي:

- حان موعد انصرافي ياسيدي، لا تنس الصندوق.

قبل أن أهم بالنطق كان قد اختفى، وقفت بعجز من لا يستطيع أخذ حقه من فتوة ظالم، نظرت للصندوق وقد بدأت فعليًا أكره الأمر برمته، فإن تجاوزت عن ثباتي أمام جني يحدثني بسبب جني آخر يسكنني؛ فكيف أتجاوز انسياقي خلف كلمات أسطورية لا تقتصر على القراءة والسمع!! بل تبتلعني لأكون أحد أبطالها ثم

تجبرني على القتل! اقتربت من الصندوق ولا إراديًا ركلته غلًا، وددتُ لو تركته ورحلتُ بلا عودة كائنًا في ذلك ما كان، ولكن ساكن نصفي الثاني يبدو أنه ابتلع علبة منشطات، جلست لأرى البريد المرسل إليَّ عَبْر الخطوط الأرضية منذ آلاف الأعوام، أتمنى لشامبليون عدم ورود الجنة فقد خدم البشرية وابتلاني بالهلاك المحقق.

فتحت الصندوق فوجدت سبيكتين كبيرتا الحجم بأقصى يمينه ورسالة بأقصى اليسار، يملأ باقي الفراغ جعران حجري دقيق النحت أحمر اللون، تشوبه نقطة سوداء في منتصفه، حاولت مسحها فتفتت الجعران بكامله وانتقل لكف يدي ثقل حجر حديدي، قمتُ أتأمل يدي بحثًا عن لدغة أو دماء أو مكروه أصابها فلم أجد، فقط ثقل غريب يجعلني أحركها بصعوبة، نظرتُ لفُتات الجعران، كلها بالأحمر واختفت النقطة السوداء، لم أقاوم رغبة البحث عنها، أخرجت فتات الجعران على مراحل ولم تظهر...

بل ظهر الأسوأ.. الأبشع.. ظهر الجحيم في أشد هيئات قبحه..

تحت فتات الجعران مربع يحمل وجه بسمة، نصف يبتسم ونصف يموت، كانت الصدمة كافية لأن أذوب وأنصهر كأني

أفنى، لأن أبكي بحرقة، لأن أقف كمارد له الرغبة والقدرة على الفتك بأي شيء، أتجول في الغرفة وصراخي يزلزل جدرانها:

– لاااا... بسمة لاااا... بسمة لاااا...

-٢٩-

في المنزل وحتى أشرق الصباح كنت منزويًا في أحد الأركان، أجلس ظهري للحائط وركبتاي مضمومتان أسند عليهما رأسي، جفّت عيناي من البكاء وتبددت كل طاقاتي من تصور أي ضرر قد يلحق ببسمة، لن أسمح ولو الثمن موتي، ثم يقهرني أن الثمن ضحية ستموت من أجل معجزة حمقاء، ظهر اسمها على شاشة هاتفي فخفق قلبي، أتأمل وجهها في حروفه حتى انتهتْ الرنة، عاودتْ الاتصال فتمالكت نفسي:

- أهلًا يا حبيبتي، أأنتِ بخير؟
- الحمد لله، سيادتك لا تسأل ولا كأنك ستصبح خالًا.
- تعلمين أن فرحتي بحملك لا توصف، وكل ما أتمناه رؤيتكِ بخير دائمًا.

فلتتْ مني شهقة غير متوقعة.

- يوسف هل تبكي؟
- أبكي!! يبدو أن سمعك مريض، أتثاءب وأتمطع فما زلت على السرير.

- لا أنت لست على ما يرام، أنا قادمة إليك.
- لا أين تأتي وأنتِ حامـ...
- قلت قادمة، نصف ساعة وسأكون عندك، سلام.

أغلقتْ الخط، أحفظها، مهما ردعتها فسيزيد إصرارها، قمتُ أحاول ترتيب السوق الذي أسكنه، أُخفي كل أثر يتعلق بالمقبرة، أفعل كل ذلك بمجهود شاق بسبب يدي الثقيلة، ثم أخذتُ دشًا سريعًا ربما يُجَمِّلُ هيئتي، أنهيت استحمامي قبل أن تصل، دخلتْ تتأمل عينيّ لتستشف ما يؤيد شكَّها، آمنتُ أنها لن تستريح إلا باعتراف مقنع عن شيء يشغلني، ثوان وبدأت التحقيق:

- هل ستحكي مباشرة أم ستتعبني؟ أنا حامل ولا طاقة لي بالمناهدة.

تنهدتُ أتشرب الكذبة التي سأبوح بها:

- حلمت بماما.
- الله يرحمها، خير!
- لا داعي للقلق، كانت بخير وتضحك، ولكنها أوصتني بك كثيرًا.

لمعتْ عيناها بالدموع ولكن هدفها الأساسي كان الاهتمام بي:

- حبيبتي الله يرحمها، وهل توصيتها أمر يحزنك؟! أم أنك غير قادر على التنفيذ لذلك تحمل الهم يا أستاذ!

ابتسمتُ ومددت يدي أطبطب على خدها:

- كل ما في الأمر شعوري بمضايقتي لكِ في الفترة السابقة، ورحمة ماما لا تحزني بسبب أي حماقة فعلتها.

عادت يدي إليَّ من دون ثقلها، تعجبتُ وحركتها لأتأكد فوجدتها طبيعية، لم تقاوم بسمة مشاعرها الرقيقة فقامتْ واحتضنتني، تسلل إليَّ استسلام قد يجعلني أعترف لها بكل شيء، قاومته بتغيير مجرى الكلام لِما حضر بذهني:

- لماذا لم تحضري حنين معكِ؟

انتفضتْ وتغيرتْ ملامحها وكأن اللحظات السابقة عهد ولَّى وبدأ عهد جديد.

- انظر! أنت نفسك لا تستوعب عدم وجودها عندي ونسيت أنها عند روان، وتطلب مني ألا يُحرق دمي!!
- اهدئي يا مجنونة، نسيت فقط.
- بصراحة كانت حركة عديمة الفائدة، لا أفهم كيف ستتعبني حنين، إن عدم وجودها هو ما أتعبني، ولكن لم أحرج روان كي أثبت لها أنها واحدة منَّا.

- لو شئتِ أن أحضر لكِ حنين وروان لتعيشا معكِ سأحضرهما.
- لا يا حبيبي فلتبق روان من أجلك، بالمناسبة ألن تبدأ في بناء الأرض وتحدد موعد زواجك؟

مر وقت طويل لم أشعر فيه بضجري المعتاد من ثرثرتها وأسئلتها، كنت أود ألَّا أتركها ولا تتركني، أُفرغ نفسي من كل شيء وأبقى تحت قدميها أحميها، فكرت أن أقترح عليها المبيت معي ثم تراجعتُ خوفًا أن تتلبسها حالة تنظيف الشقة فتكتشف دليلًا يفضح سر المقبرة، وفي النهاية رحلتْ تحمل معها جزءًا من روحي، قمتُ لأقرأ رسالة عاشمحب لأرى مستجدات خيوطه التي يلفها حولي ثم انطفأتْ رغبتي، فضَّلتُ الهروب إلى حنين وروان، أفتقدهما بشدة، وفي الوقت نفسه لا أصنع تراكمات من بُعدي غير المبرر تجنبًا لتكرار الخلافات السابقة، انطلقتُ لا يكدرني من الزيارة إلا "حماتي"، المرأة التي يتبقى لها موقف واحد مخز مني لروان، وستترك وقارها ومكتبها لتركض خلف الأطفال بعصا في ساحة المدرسة.

عدتُ لمنزلي بعد انتهاء الزيارة بأمان، أبرز نتائجها ثبات علاقتي بروان على النحو الجيد، التأكد من كتم والدة روان لأشياء تود البوح بها، الاطمئنان على عدم رهبة حنين من الوضع الجديد

وسعادتها به، أخرجتُ الرسالة وقد بدأتُ أترجم معظمها بمجرد القراءة، وما يتعثر عليَّ أترجمه من الانترنت حتى كانت تلك المرة هي المحاضرة الأخيرة لإتقان اللغة الهيروغليفية كاملة.

إن قلبي لفي سرور مبتهج بسبب عملك وأثرك، اعلم أني من دونك وأنك من دوني كالبيت من غير خبز، كالسفينة من دون مجرى ماء، أما معًا سنكون ذائعي الصيت غير خاملي الذكر، لن تكون مغمورًا، عيناك ستبصران عن بُعْد، حياتنا ستمتد في صحة جيدة وأعضاء نامية، استحضر ما يلزم وأنجز عملك ودعني أنظر إليك على عجل، أصغ لبرقان واقبل كل ما يقول ليبتعد الشر عنك، وخذ معك السائل الأحمر عندما تأتيني، زد همتك واجعل ساعدك قوي نشيط، وحاذر على نفسك ومن تحب، لا تجعل السقم يستفحل في أعينهم، ويمتص منهم كل شريان للحياة، فإن أطعتني فلهم الصحة والفلاح وبركات الآلهة، وإن تخليت عني سأتخلى عنك، وسترى بقلبك في الليل والنهار أن:

الهلاك محقق

كل ما يمس بسمة من إيحاءات في ركن خاص من الرعب ليس له نظير منذ دخولي المقبرة، أشعر أن فيضانًا غاشمًا سيجتاحها في أي لحظة وسبيل نجاتها قتل إنسان بمباركتي، كان مسار تفكيري الإيجابي هو اختيار شخص يستحق القتل أو شراء أحد بالمال، وسرعان ما يحتلني قبح التنفيذ! كيف أذهب لرجل أستأذنه في قتله؟ ولو تجاوزت ذلك وفعلتُ ووافق هو من أجل عائلته مثلًا فمن أين سأعطيه الثمن المستحق لتضحيته بنفسه؟ ثروتي من السبائك الذهبية محفوفة بمخاطر شكلها الفرعوني، ستفتح عليَّ ألف باب من الخطر مثل سعد، وقتل من يستحق القتل حسب رؤيتي يتطلب قتل الإحساس بالذنب ففي النهاية سأصبح قاتلًا.

ظللتُ مهروسًا تحت أقدام الأفكار حتى اتصلتْ صفاء، رؤية اسمها ألهب جرح خوفي على بسمة، ونبش جرح قلقي عليها منذ يوم المستشفى، قبلتُ المكالمة وبمجرد سماع صوتها الطبيعي انزاح قلقي عليها، بدا عليها فقط حزنها من شيء.

- كيف تكونين بخير يا صفاء وواضح أن هناك ما يشغلكِ!

صمتتْ ثوان حتى عاد صوتها مترددًا:

- ألم تسمع بما حدث؟

أتوقعه، أتوقعه يا صفاء ورغم توقعي لا أصدق أنه حدث وأني سأسمعه.

- تأخرنا منذ يومين في المكتب لتجهيز بعض التقارير طلبتها الإدارة بصفة عاجلة، الحيوان صبحي استغل حالة الفراغ وتهجَّم على إيمان و... اغتصبها الكلب.

مطارق تدق على رأسي ولا أعرف لماذا لا أموت أو أُجن!

- لكن حياته تدمرت، تم فصله من الشركة وبعض أهل إيمان أرادوا قتله وبعضهم فكروا في رفع قضية عليه، ثم تراجعوا خوفًا من تضخيم الفضيحة.

بكيتُ بحرقة مكتومة وأنا أشعر أني أسوأ أهل الأرض، طال صمتي عن صفاء:

- يوسف أنت معي؟
- معكِ، وكيف حالها الآن؟
- لا تتكلم مع أحد ولا ولا تطيق أحدًا بجانبها، وضع والدها كاميرا في غرفتها ويراقبونها طوال اليوم لينقذوها إن فكرت أن تفعل شيئًا بنفسها.
- ربنا معها.

- على فكرة من المحتمل أن يطلب منك مدحت قطع الإجازة، لم يعد سوانا في المكتب.

لم أجد رغبة في الاستمرار، أغلقتُ دون الخوض في تفاصيل تفترسني كوارث أفظع منها، لم يتخذ انشغالي وحزني بمصيبة إيمان وصبحي سوى مدة مكالمة صفاء، عدتُ لحسرتي على بسمة ولم أجد إلا الذهاب لمقر الحياة الأبدية ومحاولة الحصول على أي ضمانات من برقان لعدم مساس بسمة.

-٣٠-

بلا إفطار وبلا نوم توجهت إلى المقبرة في الصباح، أنظر للكنوز المترامية أمامي بزهد، وللغرفة المغلقة بغضب، أتمنى أن تتحقق المعجزة ويحيا عاشمحب وأراه امامي لنتعارك حتى الموت، بشرط وقوف معاونيه من الجن على الحياد، تذكرت برقان لا أعرف كيف أحضره، قبل أن أهم بالنداء كان خلفي.

- مرحبا يا سيدي.

أفرز بداخلي كمية أدرينالين تكفي لعدم الاطمئنان مرة أخرى، اندفعتُ للأمام بفزع ثم استدرتُ له بغضب:

- يا أخي حرام عليك، لا تظهر بهذ المنظر المقرف ثانيةً.
- أمرك وأعتذر يا سيدي.

نظرت له نظرة الغريق للقشة، لا أنكر الاطمئنان له حتى بنصفي الواقعي، وما يمنعني من استساغة ذلك الشعور أنه يتطلب المصادقة على الإيمان بمحتويات قربانه الخيالية، ثم دهمني شعور بأن عدم إيماني هو الخيال، تمر أمامي كل الأحداث منذ فتح المقبرة فلا أعلم لماذا أتعجب من أي مستجدات غريبة حتى الآن،

تذكرتُ بسمة فانفصلتُ عن كل شيء، نظرتُ لبرقان بتوسل، أطمع في سماع كلمات تجعل بسمة خارج نطاق هذا الرعب:

- برقان، لا أريد أي ضرر لأختي، لو حدث ذلك سأعاند وأفعل عكس كل ما تريدون.
- افعل المطلوب ولن يتأذَّى أحد.

تذكرتُ أنه بانتظار قصي لشريط افتتاح مشروع جريمته المرتقبة فاغتممتُ:

- فلنؤجل الكلام عن قلب الإنسان مؤقتًا، اشرح لي ما بعد ذلك.

أشار للموقد:

- عندما تكتمل محتويات القربان سيوضع على النار المقدسة الموقدة منذ ثلاثة آلاف عام.

حدجته بنظرة استنكار أنتظر منه ابتسامة مزاح، فلم أر إلا جديته:

- هذه النار مشتعلة منذ ثلاث آلاف سنة؟
- أجل، أوقدها سيدي سمندس فهي من شروط قبول الآلهة للقربان.
- وبعد وضع القربان على النار؟

- ستقدمه للآلهة.

قالها وهو يشير إلى اللوحة الذهبية الموجودة أمام غرفة عاشمحب وبها ما يقرب من نقوش لعشرة أشخاص.

- من هذه الشخصيات المنقوشة على اللوحة؟
- ستعلم بنفسك، بعد تقديم القربان سيكون مسموح لك بالاقتراب منها ولمسها ومعرفة ما عليها.
- ولماذا لا تخبرني أنت؟ أليس من المفترض أن تطيع كل أوامري؟

نفس النظرة للباب المغلق كانت الرد، أدركتُ أن هناك عقبة تمنعه من إيضاح معلومات معينة لها علاقة بتلك الغرفة المغلقة، ولكن لماذا ينظر للباب ولا يخبرني صراحة أنه لن يقول!!

- وبعد القربان.
- ستصنع الشراب المقدس وتدخل للقائد عاشمحب.

أشار إلى باب الشجرة المغلق فعلمت أن توأمي يسكنها، عدتُ لِما قاله:

- شراب مقدس؟
- شراب سأساعدك في تجهيزه، ولكن يجب أن تصنعه بيدك.
- وما حكمة وجوب صنعه بيديّ؟

- هو شرط نجاح المعجزة، أن تتقبل وتفعل كل شيء بيدك.

انتعشتُ بتفاؤل:

- ولو رفضت عمله ستفشل المعجزة؟

- أجل.

عاودني التشاؤم حين أدركتُ قيمة أذى من حولي لدى عاشمحب، يفاوضني بحياتهم كي أنفذ رغباته للنهاية.

- وما فائدة هذا الشراب؟ ومن سيشربه؟

لا رد إلا تكرار النظر للباب، أيقنتُ أن جوهر تفسير كل ما أعيشه يقبع بغرفة باب الشجرة، ودخولي إليها مرهون بتقديم قربان القلوب لآلهة اللوحة الذهبية، وإنهاء عمل شراب مقدس شرعنا في تحضير مكوناته، كلها جاهزة بمختبر الأبحاث، سوائل بداخل قوارير وأعشاب أعرفها مثل ينسون وقرفة وأخرى لا أعرفها، برقان يشير للشيء وأنا آخذه وأضعه بداخل قدح ذهبي بحجم دورق.

أثناء الانشغال بتجهيز الشراب رغبتُ في استنزاف معلومات برقان، لعلني أستنتج ما أنقذ به صفاء وبسمة أو ما أنجي به نفسي من هذا الجحيم.

- برقان هل لك علاقة بأذى من حولي؟

- لا.
- له علاقة بالسحر؟

نظر للباب.

- جن هو ما يؤذيهم؟

نظر للباب.

- هل الجني الموجود بداخلي يطيع عاشمحب كما تطيعني؟
- أجل.
- وكيف يستمر في طاعته طوال تلك السنوات بعد موته؟
- تلا عليه سيدي سمندس تعويذة الطاعة الكاملة الأبدية للقائد.

كلمة تعويذة قشعرتني، سماعها مخيف يذكرني بهيئات الجثث المحنطة.

- وكيف تطيع أنت أوامري.
- تلا عليَّ سيدي سمندس تعويذة الطاعة الكاملة الأبدية لك.
- هل كان سمندس يعرفني؟
- أجل.
- وما علاقة سمندس بعاشمحب بالضبط؟

نظر للباب.

كان لدي إحساس بأن استمراري في استنزافه سيزيح ضبابًا من أمام عيني قدر المستطاع.

- طالما أن تعويذة سمندس هي طاعة كاملة أبدية لي، لماذا لا ترد على كل ما أود معرفته؟ ولماذا لا تنقذني من هنا؟

نظر للباب.

أنهينا تحضير مكونات الشراب، أعصر أفكاري لفتح ثغرة في جبهة برقان الغامضة بلا فائدة، أمرني بوضع قدح الشراب فوق عامود رخامي مغطى بكتان.

- سيدي، يجب أن تختار بشريّ القربان سريعًا، فموعد دخولك للقائد عاشمحب بعد خمسة أيام.

أزعجتني المفاجأة بشقيها.

- لماذا بعد خمسة أيام؟

- يوم التقاء الأرواح ببركة الآلهة.

خندق الأرواح والآلهة والحياة الأبدية بدأتُ أتحاشاه، كما أن توابع الشق الأول غلبتني:

- برقان لا تتجاهل تحذيري أو فلتعتبره رجائي، أختي لن تتأذى.

اختفى، دون أمر ودون رد، لم يترك إلا صفقة دوري فيها إيجاد ضحية بشرية للقتل، خرجتُ وقبل صعود السلم أحسستُ بشيء ينقصني، ثم اهتديتُ لعدم وجود صندوق، بحثتُ بعيني فلم أجد، تشبعتُ بالاستسلام وبداخلي رضا عن انتهاء مفاجآت القائد عند هذا الحد، صعدتُ فلمحت من فتحة أسفل باب الأرض خيالًا يجري، خشيتُ أن أكون مراقبًا ففتحتُ الباب بسرعة أتلفتُ في كل الاتجاهات! فلم تعثر عيناي على أحد.

-٣١-

بين منزل بسمة ومنزل روان قضيتُ باقي اليوم، عند بسمة أتامل ملامحها كل ثانيتين لأطمئن على سلامتها، وعند روان أنهل منها ومن حنين ما أستطيع من الحب، لم يعكر صفو الزيارتين سوى قلقي الرابض بقلبي على بسمة، ومطالبتي بإيضاحات من جانب والدة روان –وإن كانت بطريقة غير مباشرة– عن سبب ترك حنين تلك المدد الطويلة.

في بيتي كنت أتناوب الانغماس في أكبر فكرتين تسيطران على كياني، بين سرعة التصرف في ضحية القربان لحماية بسمة، وبين أمل صغير للنجاة من المقبرة قرأته بين السطور في حواري مع برقان، كل الشواهد المتاحة حتى الآن تؤكد وجوب طاعته الكاملة لي ولو بإنقاذي! نظْرته لباب الشجرة دون تصريح بإجابة شافية عن سبب عجزه تبدو علامة لإرغامه على التخلي عني، أحلل كل ما عشته معه وما حدث قبله ولا أصِل لخط نهاية.

تذكرتُ معلومة النار التي أوقدها عاشمحب منذ ثلاثة آلاف عام، بالطرح من عام (٢٠٢٣) عدتُ لعام (٩٧٧) قبل الميلاد، قمت بفضول أخاذ أتقصى ملابسات تلك الحقبة من العصر الفرعوني.

وجدتها فترة حكم فرعون يسمى "سي أمون" من الأسرة الواحدة والعشرين، أول أسرة حكمت مصر في عصر الاضمحلال الثالث، فترة صراعات أدت لانقسام مصر لم تسجل تفاصيلها الوثائق والآثار، زاد نفوذ كهنة آمون خلالها حتى أصبحوا الحاكمين الفعليين للبلاد، ثم زاد نزاعهم على العرش فاشتعلتْ الثورات الداخلية مما أدى لتدهور الحياة.

زمن قليل المعطيات التاريخية لم يُضف إليَّ جديدًا.

انتقلتُ بعدها ليوم التقاء الأرواح بعد خمسة أيام، وجدته يوافق العاشر من ديسمبر، بالبحث تبينت أهميته من خلال موافقته لبداية شهر كيهك القبطي، مشتق من التعبير" كا-حر-كا" أي قرين مع قرين، ويوم الواحد من كيهك هو أحد الأعياد الدينية عند الفراعنة.. عيد اجتماع الأرواح.

لم تشبعني تلك المعلومة أيضًا بجديد.

أظل أترنح في هذا التيه حتى يحين دور فكرة بشريّ القربان ليفتك بأعصابي.

مهما عصفت بي الأفكار لم يكن هناك بديل لرجحان كفة بسمة، سيموت شخص، قررتُ أن يكون مجرمًا أو عجوزًا أو مريضًا لن يتأثر بموته أحد، وسريعًا قفزت من فوق حاجز الإحساس بالذنب..

لأستمر بثبات في المسير نحو قراري.

-٣٢-

عندما استيقظتُ لم أعرف متى ولا كيف نمتُ بنفسيتي التي لا تزال متآكلة! الساعة على الحائط تشير للثانية ظهرًا، شعرت بأنه قد فاتتني أحداث دهر كامل، أول ما شغلني هو الاطمئنان على بسمة فوجدتها بخير، وبالمثل عاملت روان وحنين، ثم جهزتُ نفسي وانطلقت للأرض كي أحصل على خاتم برقان المميت، لم أحدد الهدف بالضبط ولكن جعلتُ مهمتي الاختيار وتنفيذ القرار في ثانية واحدة، حصلت على الخاتم وارتديته، صعدتُ، فتحتُ الباب لأخرج فأعادتني للداخل فوهة بندقية حطَّتْ على صدري ظلت تدفعني للخلف.

- ادخل من غير صوت ولا حركة وإلا نسفتُ يافوخك.

نجيب! دخل متحفزًا بسلاحه وأغلق الباب بقدمه.

- ماذا تفعل يا عم نجيب؟
- عمك نجيب! بل أنت عمي يا ابن الحرام، هل عثرت على كنز أم نهبت وتداري سرقتك هنا؟
- ماذا تقصد لا أفهم؟

- معلوم عقلك اختل، مثلما عميت في نظرك من يومين ولم ترني وأنا أمر من أمامك وأسلم عليك، تمسك ذهبًا بيدك وتبكي، هل كانت دموع الفرحة يا ابن المُرزقة؟
- ماذا تريد يا نجيب؟
- لا تشغل بالك، فما أريده سآخذه بمعرفتي، أخبرني فقط أين تخفي ما معك، واختر، إما أن تموت الآن وأبحث بنفسي، وإما أن تُطيل عمرك قليلًا وتدلني على المصلحة.

مرَّ أمامي طيف سعد فابتسمتُ باستخفاف:

- ولو قلت لك لا؟
- إذن ستموت يا من تظن نفسك عنترة بن شداد، هل تتعشم فيما رأيت من طيبتي؟ لقد عشت خمسين عامًا حتى الآن قتلت فيهم ثلاث مرات، وأنت مسك الختام يا طاقة القدر التي فُتِحت لي.

لم أكن أعلم أن أعظم جملة في حياتي سأسمعها الآن.. "عشت خمسين عامًا"، غمرتني سعادة فاقتْ سعادة رؤيتي لكنوز المقبرة، ترقص كل ملامحي وأنا أُناجي نجيب بأنك الكنز الأعظم من كل كنوز الحياة، ولا أعرف كيف تخطيتُ تهديده وفردتُ ذراعيَّ متقدمًا نحوه لأحتضنه بسعادة، ارتبك ودفعني بالبندقية لأتراجع وقد ازداد تحفزه:

- ارجع هل ستتصنع أمامي الجنون! ورحمة أبي لن ينقذك شيء من يدي.

نظرتُ للخاتم ومددتُ قبضتي نحوه، الآن أدركت استمتاع "الجوكر" بعد القتل، ولذة "دراكولا" قبل مص الدماء، أغمضتُ عيني استرخاءً وأشبعتُ رئتيَّ بنفس عميق و...

- تم يا برقان.

انتزعني من نشوتي صوت دَبَّةٍ تكافئ سقوط نيزك على الأرض! انتبهتُ بقلب يخفق وعينين جاحظتين! نجيب كما هو ثابت يمسك بندقيته باستثناء نافذة انفتحت في صدره تتدفق الدماء من جوانبها الأربعة، ثوان وخر بظهره على الأرض كصنم دفعه كافر به، لم يروقني المشهد رغم توقعي له، قاومتُ ثورة أحشائي للخروج من فمي وتأكدت من إغلاق الباب ثم هبطتُ للأسفل، أعفاني برقان من عناء ظهوره حين رأيته، يضع قلب نجيب في سائل أحمر اللون، ثم أخرجه ووضعه في إناء ذهبي كبير، مملوء بما يشبه أحشاء قطيع غنم، بالطبع هو القربان المنتظر، أنظر له بغثيان ازداد حين مد يده ليُقلب المحتويات ويخلطها ببعضها، أدرتُ وجهي عنه وابتعدتُ أستحضر الثبات وأرخي الحبل لنصفي الغريب كي أتماسك:

- أهذه بالفعل قلوب كل الكائنات الحية يا برقان؟
- أجل، جُبت الأرض وجمعتها من بعد ظهوري لك.

تخيلي لِما يقول مثير للتشويق والاستفاضة في تفاصيله، ولكن لم أرغب في مناقشات جانبية تفصلني عن إنجاز مهمتي للنجاة من هنا، ورغم ذلك لم أقاوم فضولي عن سؤال يشغلني منذ أول مرة أخبرني فيها بمحتويات القربان:

- كيف أحضرت قلب النملة يا برقان؟
- أملك القدرة على ذلك وعلى جمع قلوب ما هو أصغر منها يا سيدي.

جذب عينيَّ شيء يتحرك بالقربان، توترتُ:

- هناك شيء تحرك! هل القلوب على قيد الحياة؟
- قنديل بحر، أحضرته كاملًا لأنه بلا قلب.

لم أعرف هل المعلومة حقيقة علمية، أم مجازية دلالة على أن القنديل يجرح مشاعر القنديلات.

- سيدي.

نطقها بجدية زائدة فرمقته باهتمام.

- الآن ضع حجريْ اللازورد في القربان.

أحضرتهما ووضعتهما.

– الآن قدم القربان.

لم أفهم كيفية القيام بما يقول:

– ماذا أفعل؟

أشار إلى الموقد ثم أشار إلى عامود ذهبي منخفض أمام اللوحة الذهبية:

– خذ موقد النار المقدسة وضعه على هذا العامود، ثم احمل القربان وضعه فوقها، ثم تقدم للوحة آلهة معجزتك العظام، ادعهم وناجهم بما تشاء.

وضعتُ الموقد ثم حملتُ إناء القربان الذي لم أتوقع ثقله ووضعته فوق النار بعد معاناة وشعور بمساعدة خفية، تقدمت نحو اللوحة المنشودة ووقفت أمامها، النقش مبهر غير تقليدي ربما هو أتقن ما رأيته في المقبرة حتى الآن، رسومات لأشخاص تبدو ثلاثية الأبعاد، وتحت كل شخص كلمات تُعرِّف شخصيته، اقتربتُ وبدأتُ القراءة:

أتوم

رجل بلحية طويلة رفيعة، يقف أمام كرسي عرش كبير بلباس ملكي، فوق رأسه تاج نصفه باللون الأحمر والنصف الآخر باللون الأبيض، يُحلق فوق رأسه طائر العنقاء الأسطوري، بوجه منتشي يمسك قضيبه بيده ويقذف منه طفليْن.

"إلهي خالق ذاته رب الأرضين غير المدرك
خالق الأفقين والنار والأيام والسنين
الكامل بالذكر والأنثى
من أتت منه كل المخلوقات
أشكرك أن ذكرتني في قلبك لتمنحني بركتك"

أوزوريس

رجل يرتدي عباءة تحكم كل جسده، يرتدي تاجًا ملحقًا به ريشتي نعام على الجانبين ويستقر على زوجين من قرون الكباش، يقبض بيده على صولجان يُحْيي به مومياء، تنزف قدماه مكونةً بركة صغيرة من الدماء تطفو فوقها زهور لوتس حمراء.

"إلهي الحي على الدوام المرغوب رحمته
خالق النبات ومُجري الفيضان ومانح الحياة لمن تشاء
امنحني معجزتك كما منحتني دمك"

إيزيس

امرأة ذات ملامح جميلة لها هيبة ملكية، فوق رأسها قرنان بينهما قرص الشمس، عارية الصدر ترضع طفلًا وتمسك قدحًا به سائل أحمر تنغمس فيه بردية مفتوحة بها رموز مبهمة.

"سيدتي وأمي المقدسة المحبوبة
ربة السماء وحامية الأحياء والأموات
مأوى الضعفاء وسيدة كلمات القوة
فلتكن تلاواتك وتعاويذك المباركة أول
طريقي للحياة
يا أم الرب الذي قتل الشر"

تحوت

رجل برأس منجل محاط بهالة من الكتب، يمسك قدحًا مشابهًا للقدح الذي تمسكه إيزيس ويصب بداخله زهور لوتس حمراء من قدح آخر.

"إلهي رب الحكمة والسحر المخلوق من قلب أتوم
أيها الصامت الغامض المجلل بالأسرار
مرشد الكيانات الإلهية التي تحصي أبعاد كل شيء
ومسقي شراب الحياة لأوزوريس الحي
اجعل ما استقيناه من علمك تتويجًا لك حين تتم فائدته"

ماساهرتا

رجل يمسك عصا على هيئة أفعى ويحمل فوق ظهره رِحالًا، يبتعد عن رجال يقفون أمام رجل تظهر عليه القوة والكل يمسك عصيانًا بهيئة ثعابين.

"سيدي المعظم حفيد العظيم تحوت
المتمرس في كل العلوم قبل زمانك
ومُجيد أصول سحر التخييل الذي يصنع المعجزات في زمانك
ومورثه لأحفادك حتى وصل لمعلمي كاملًا بعد زمانك
لروحك الخير والنعيم الأبدي"

سمندس

كاهن مهيب الهيئة طويل القامة ذو لحية كثيفة طويلة، يغطى جسده كله رداءٌ على شكل ورقة بردي ممتلئة بالرموز.

"معلمي وسيدي رفيع المكانة عالم الأزمان والمواقيت

ونبوءة جدك تحوت بأنك صانع المعجزة التي ستمنحها الآلهة لي

ملك عالم الجن يا من أعطيتني علمك وأسرارك

انعم في مرقدك واعلم بأني لست تلميذك وإنما ولدك

فعلت المطلوب وبانتظار زمن التنفيذ"

عاشمحب – ميـريت

رسمة بلا كلمات، فقط رجل وامرأة يقفان يوليان ظهريهما لي، بينهما قرص القمر بداخله قلب وتنسكب عليهما أشعته، يرتديان تاجين يخرج منهما زهرة لوتس حمراء.

أنهيتُ القراءة أشعر بأني داخل شبكة معلومات تحتاج إلى فك شفرة لربط تفاصيلها، تكرار حضور أوزوريس وإيزيس يؤكد لي ارتباطهما المباشر بما يحدث، وأتوم وتحوت مجرد آلهة معروفة في الأساطير الفرعونية، وماساهرتا اسم جديد يُسفر عن ساحر قدير وعالم كبير، ورَّث سحره وعلمه لحفيده سمندس وحمل له أمانةً ما من جده تحوت، وسمندس اتضح بشكل كامل أنه مُعلم عاشمحب وله علاقة مباشرة بما أعيشه إن لم يكن السبب فيه، أما عاشمحب فلاتزال معلوماتي عنه كما هي سوى نقش جديد يفيد بوجود امرأة في حياته تسمى ميريت وأغلب الظن أنها حبيبته أو زوجته.

المعجزة لها فريق عمل كامل من مختلف الأزمان، طموح وخطوات عاشمحب لتحقيق نبوءته وتَّرتني، استجرتُ ببرقان طمعًا في رؤية أوضح:

- أكل هذا التعب من أجل أن يشرب عاشمحب المشروب الذي نصنعه؟ هل يعتقد أنه سيعيده للحياة؟

نظر للباب، تأملتُه معه باحتمالات مشوهة المعالم، أرى بخيالي أعضاء اللوحة الموقرين مجتمعين بالداخل، يتبادلون آراءهم في كيفية تحنيطي بعد إحراقي في كومة قش أو إغراقي في النيل المقدس، استفقتُ بتنهيدة طويلة وعدتُ لبرقان:

- ماذا سيتم الآن؟
- تأتي بعد أربعة أيام من أجل لقاء القائد عاشمحب.
- والشراب المقدس انتهى؟
- ما ينقصه سيخبرك القائد به.

أعاد لي التشتت في أعلى مراتبه:

- هو من سيخبرني؟ هل سيحدثني مثلًا؟

نظر للباب.

غطيتُ وجهي بكفيَّ إرهاقًا وعندما فصلتهما لم أجده، حل مكانه صندوق جديد، فتحته فلاحت سبيكة كبيرة توازي كل السبائك السابقة، وزجاجة بها زهرة لوتس حمراء، ورسالة جديدة:

هل تجد نفسك لا تسير على الطريق المستقيم بعد انضمامك لحظوة الآلهة العظام؟ هل لك أن تعرف أنهم روح الحكمة والقوة، لا تستهن بقدرتهم، فلو أمروا الهواء سيمزق الأجساد، ولو أمروا السحاب سيمطر ذهبًا، وهم قد أمروا بأن تكون روحانا جزءًا من عظمتهم وقدرتهم وخلودهم، أنت الآن في القارب، والشاطىء يلوح في الأفق، والدفة بيدك، لا تجعله يرتطم باليأس، لا تكونن جبانًا وأنت شجاع، ولا خفيفًا وأنت رزين، فلا يجوز أن يجتمع الإقدام والتراجع في وعاء واحد، اعبر خوفك، اخترقه وارتقِ فوقه، ضع زهرة اللوتس الحمراء بعد أن يفوح أريجها في الشراب، ثم اسكب السائل الأحمر فوقها، وادخل به غرفتي في اليوم الموعود، الآن انتهت رسائلي ولم يبق إلا انتظارك، يوم أن تلتقي الأرواح المتآلفة، فاجعل عينيك تتأملان حياتنا الجديدة بسرور، غير ذلك سترى المتاعب إلى الأبد مع أحبائك، ولن تنس أبدًا أنَّ:

الهلاك محقق

تضاربت مشاعري بعد علمي بأنها الرسالة الأخيرة، مسَّني إحساس يطابق شعوري بالأرض قبل اكتشاف المقبرة، تجاوزته وأخرجتُ الزهرة من زجاجتها، فاحت بعطر من شدة روعته كدت أن ألتهمها، وضعتها في القدح، أخرجت زجاجة السائل الأحمر التي لم تفارق جيبي منذ أن أمرني القائد بإحضارها، سكبته فوقها فبدا الشراب وكأنه يغلي ثم هدأ، لم أجد ما يمكن فعله بعد اختفاء برقان، وضعت القدح فوق عاموده الرخامي ورحلت.

-٣٣-

مع أول خطوة داخل شقتي سمعتُ رنة هاتفي تأتي من غرفة النوم، تحسستُ جيوبي فاكتشفتُ نسيانه، انتهت الرنة حين أمسكته فوجدتُ أربعًا وأربعين مكالمة فائتة أغلبها من روان وصلاح، قبل التفكير بمن أتصل عاود صلاح الاتصال، رددت متلهفًا:

- ماذا حدث يا صلاح؟!

جاءني صوت في ذروة انهياره:

- أين أنت يا يوسف، بسمة في المستشفى ولا تكف عن النداء باسمك، لا نعلم ما حدث لها فجأة كانـــــ.....

سقط الهاتف من يدي وسقطتُ معه، جثوتُ على ركبتيَّ بأعصاب تذوب وتتلاشى، وغصة تتضخم لتفجر رقبتي، وضعت رأسي على الأرض باكيًا يخبو الضوء من حولي وأغوص في ظلام...

- "يوسف"

كان نداءً لبسمة جعلني أنهض وأبحث حولي بشغف عن مصدر الصوت، لا يراودني إلا أمل العثور عليها معافاة مبتسمة،

لم أجد إلا الفراغ واليأس والخوف، استعدتُ وعيي قليلًا فانطلقتُ للمستشفى، على باب الغرفة المحجوزة بها تقف روان وصلاح ووالدته دامعين، قَوْمي الذين يعيشون الخراب الذي عاشه قَوم صفاء يومًا، استقبلوني كمنقذ أتى "بإكسير الحياة" في اللحظة الأخيرة، يحتضنني صلاح لا أعلم هل يُطمئنني أم يَطمئن بي، لخصتْ لي روان الوضع بأنه نسخة مكررة من حالة صفاء، نويت الدخول فتحفظوا متعللين بأوامر الطبيب والإشفاق عليَّ من حزني عليها، أقنعتهم بنظرة لا أعرف كيف استقبلوها، عتابًا لِما يقولون أم تصميمًا على الدخول أم رؤيتهم لقيمة بسمة في عينيّ، دخلتُ ورأيتها ممددة فَخُيّل إليَّ أن العالم كله يحتضر، ملاك مقامه الجنة تنغرز فيه مخالب شياطين أولهم أنا، جلست بجوارها بهدوء، أناجيها بالأسف والعفو والنهوض للفتك بي إن كان ذلك ثمن عودة ابتسامتها، قبَّلتُ جبهتها وعدت لوضعي فوجدت عينيها مفتوحتين، الجحيم فيهما يناديني بصوتها:

– الهلاك محقق يا يوسف.

ودون أن تستند على يديها اعتدلتْ جالسة؛ ارتعدتُ وابتعدتُ عنها خطوة مثَّلتْ لي العار في أقبح حالاته، لن أتركها ولو شطرتني لنصفين، عدتُ إليها أحتضنها بهيئتها المرعبة:

- اقتليني يا بسمة لكن ارجعي، اقتليني يا حبيبتي أنا السبب، وحياة حنين وصلاح لا تظلي هكذا.

توحشتْ فجأة وتحول وجهها لشعلة لهب، أمسكتْ عنقي بكفيها وصاحتْ بصوت أجش مخيف:

- أنقذني، لا أريد أن أموت.

ظلت تكرر جملتها الأخيرة فزاد بكائي ومحاولات احتضاني لها، لا أعلق إلا بتوسل:

- لا يا بسمة ارجعي، لا يا بسمة ارجعي.

اختلط تكرار جملتها بتكرار توسلي حتى بدا تحديًا مَن يعلو صوته على الآخر، انفتح باب الغرفة في لحظة عادت فيها ترقد على السرير باستسلامها السابق، دخل صلاح وروان وأنا بنفس حالتي وترديد توسلي، أمسكاني واتجها بي للخارج رغم مقاومتي لهما، جلست على الأرض منهارًا، صلاح لا يقل عني معاناة وروان مالت نحوي تربت على كتفي، ثم همست في أذني:

- يوسف حاول أن تتماسك من أجل صلاح، منهار من صدمة حالة بسمة وصدمة طفله الذي ...

ذبحتني روان، تسمرتْ عيناي في عينيها أتشرب هول ما نطقت به، أشعر بضياع حلمي أنا لا حلم صلاح وبسمة، قمت

بنفس خالية من كل شعور سوى الغضب والانتقام، تركت المستشفى لا أعبأ بظلمة الليل واتجهتُ للمقبرة كقذيفة مصوبة لتدميرها، أبحث عن ثأر لا أعلم هل آخذه من جني أم من رجل ميت!! في الأسفل كنت وحشًا همجيًا، أحطم أدوات المختبر، أحطم الصناديق وأخرج الذهب وأرميه بعشوائية، لمحتُ القربان والشراب فاندفعتُ لتحطيمهما، سلَّطَ عليَّ الفرعون اللعين عفاريته فشلُّوا حركتي عن التقدم، ألقيت قناعًا ذهبيًا من محتويات الصناديق لعلي أحطم الشراب فسقط القناع أرضًا قبل أن يصل، غلبني العجز فناديتُ برقان لأول مرة بصفة سيد ينادي عبدَه:

- أمرك يا سيدي.

قالها وهو خلفي، استدرتُ ألكم وجهه وصدره وبطنه فكأني أضرب جمادًا لا يتحرك ولا يُخدش ولا يشعر، جلستُ على الأرض منهكًا ورمقته بانكسار:

- لماذا يا برقان؟ قلت لكم أختي لا، وفعلت كل المطلوب، لماذا؟
- ستكون بخير، ولن يمسها أو غيرها سوء ما دمت تصغ لكلمات القائد عاشمحب.
- الله يحرق أم القائد عاشمحب، أختي كانت حاملًا ومات طفلها، ماذا سيفعل قائدكم اللعين؟

لم يرد، قمتُ واقتربتُ منه ورجوته:

- برقان، أشعر أنه باستطاعتك إنقاذي من هذا الجحيم وهناك ما يمنعك، أخبرني فقط هل إحساسي صحيح أم خاطىء؟

نظر للباب.

كززت أسناني ولم أستسلم:

- أتوقع أن سبب عجزك داخل تلك الغرفة، لو كان كذلك دلني كيف أدخلها؟
- غير مسموح لك بالدخول إلا اليوم الذي سيتوَّج بمعجزة الآلهة وتنعما معًا بالحياة الأبدية.
- وإن حاولت هل سأموت؟
- لا، أنت تحت حماية الآلهة والقائد وحمايتي، لن تموت ولن يصيبك ضرر، أنت ممنوع فقط من الدخول إلا في يوم التقاء الأرواح.

ضغطتُ على أفكاري لتثمر بسؤال تأتي إجابته بمعلومة فعالة دون أن ينظر للباب، أُلِهِمْتُ محاولة معرفة كل ما أستطيع عن برقان نفسه.

- قلت لي أن سيدك الرئيسي هو سمندس، وهو من قرأ عليك تعويذة الأمر بطاعتي، صحيح؟
- أجل.
- هل عدم طاعتك الكاملة تعني أن عاشمحب يسيطر عليك بشيء؟

نظر للباب.

تملكني يأس ظل يتوغل ويحتل مساحاتي إلا جزءًا ضئيلًا، جعلني أخاطبه بأمل أخير ونبرة متوسلة كآخر فرصة للخلاص:

- برقان، هل لديك ما تنصحني به لتساعدني في النجاة من هنا؟

لأول مرة يفكر قبل الرد ويرمقني بشفقة:

- عندما تدخل للقائد لن يكون بالداخل سواكما، واعلم جيدًا أنه لن يؤذيك شيء، واجعل الشراب سلاحك ضد ما تخشاه.

غمرني شعور هائل بوجود رسالة في كلماته ولكني أجهل استنباطها، استشفيتُ أن هذ أقصى ما يستطيع الكشف عنه ومهمتي عدم التغافل عن التنقيب في بواطنه، تركته بعد يأسي باستخلاص المزيد، عاودني الشعور بالأسى على بسمة فخرجت

وقد أشرق الصباح، رنَّ هاتفي ليخبرني صلاح باستفاقتها، طلبتُ منه سماع صوتها فعاندني الهاتف حين انتهى شحنه، عدت للمستشفى فرأيتها سالمة لا يشوبها إلا الوجع على طفلها الضائع، جلستُ أواسيها ونفسي تتآكل من الألم، في المساء كنا في منزلها وقد استعادت بعض تماسكها، أتتْ روان بصحبة حنين في محاولة لتحسين حالة بسمة النفسية فكانت المرة الأولى التي نرى فيها ابتسامتها ونضارة وجهها.

قبل الرحيل اتخذتُ قرارًا بأن تنام حنين بين أحضاني تلك الليلة، شوقي لها كان في مؤشره الأعلى، اشتريتُ ما نأكله صباحًا ثم ذهبنا للبيت، لم أمل من محادثتها واللعب معها حتى خطفها النوم، أدخلتها غرفتها واستلقيتُ بجوارها مقهورًا على بسمة وصلاح وطفلهما الذي لم ير النور، وبلا إرادة تسلل إليَّ هدوء غريب تغلغل في أطرافي، انتشلني من دماري النفسي وسلَّمني لنوم عميق يعوض أرق أيام طويلة.

استيقظتُ في العاشرة صباحًا بجسد متصلب، قمت أتمطع ثم انكمشت لمَّا وجدت حنين ليست بجانبي!

- حنين.

لم تجب ندائي، قمتُ أبحث عنها بنبضات قلب تتسارع!

- حنين.

مخزون المفاجآت الكارثية حضر بذهني؛ زاد توتري الذي كاد أن يصل للجنون في لحظة واحدة قبل أن أراها في غرفتي نائمة، دخلتُ متوجسًا أنظر في أنحاء الغرفة بحذر، وجدت الدولاب مفتوحًا! لم أتذكر هل بسبب فوضويتي في الأيام السابقة أم حنين هي من فتحته! ألقيتُ نظرة سريعة على صندوق والدتها الممتلىء بمحتويات المقبرة فكان كما هو، ذهبتُ إليها وقبَّلتها فاستيقظتْ:

- لماذا جئتِ هنا ياحبيبتي؟
- كنت تشخر بقوة يا بابا وأنت نائم؛ لم أستطع النوم.

ابتسمتُ وحملتها لنخرج وأنا أسألها:

- هل فتحتِ الدولاب؟
- لا.

تجاهلتُ قلقي فربما أصابتني كثرة الأحداث بتوهم الخطر تجاه كل حدث ولو كان صغيرًا، أنهينا إفطارنا وتجهزنا وانطلقنا لبسمة كي تتناول جرعة أخرى من وجود حنين.

تفاجأتُ بوجود روان لتتكفل براحة بسمة، رأيتها أعظم من كل وقت مضى وزاد حبها في قلبي أضعافًا، جلسنا جميعًا في جو عائلي كنت فيه للمرة الأولى أنا من أحتوي صلاح، لا يشوبه إلا تخيلي "لحماتي" تنظر إليَّ من خلف رشاش متعدد الطلقات مستعدة لتدميري:

- "جعلتها مربية لبنتك وخادمة لأختك يا حيوان".

لا أشك أنها بصدد عمل عمرة عاجلة؛ لتتعلق بأستار الكعبة مبتهلة باكية تدعو عليَّ بالهلاك المحقق.

-٣٤-

أنهتْ حنين النزاع بيني وبين روان فيمن يأخذها حين اختارت روان، ونامتْ بسمة بعد تناول قدر من الأدوية يصلح كوجبة تشبع معدة جائعة، عدتُ لشقتي أسيرًا لأصداء كلمات برقان التي لا تزال سارية بداخلي، وضعتُ رسائل عاشمحب أمامي لأضم كلماتها مع كلمات برقان لعلي أخترق سره المكين.

أخبرني برقان أني لن أموت ولن يؤذيني شيء وهذا يتناسب مع كلمات عاشمحب، رأيته بعيني في حوادث سعد ونجيب ومحاولة تدمير المقبرة، فلولا أني ذو قيمة أكبر مما أتخيل لدى عاشمحب لَمَا أرسل إليَّ قائد جِنَّهُ المطيع ليسكنني كي يحفظني من هول كل ما رأيت.

انتقلتُ لاقتناعه التام بفكرة الحياة الأبدية بمساعدتي فلم أجد إلا جديته في التنفيذ، وجوهر الفكرة شراب أعطته الآلهة لإيزيس كي تحيي به أوزوريس، فما علاقة عاشمحب وأنا بأسطورة جاءت قبلنا بآلاف السنين؟! وما هي الأمانة التي حفظها أجداد سمندس ليسلمها لعاشمحب؟! ومَن ماساهرتا ضئيل المعلومات ولم يُميَّز بالتعريف في اللوحة سوى بعلمه الغزير وإتقانه لفرع من السحر

يسمى سحر التخييل؟! وما دمتُ سأكون منفردًا بعاشمحب في غرفته فما فائدة أن يكون معي سلاح؟! من سأحارب وكيف أحاربه بقدح شراب؟!

أما أكثر ما شغلني هو السبب القهري الذي يمنع برقان من إنقاذي، فوجدت حل اللغز في يد عاشمحب نفسه، الأصل هو طاعة برقان الكاملة لي بأمر من سمندس الذي يعلم أن قبولي وفعل كل شيء بيديّ من شروط إتمام معجزتهم الحمقاء، فماذا لو لم أقبل؟! سينقذني برقان من كل محاولات عاشمحب لإجباري على التنفيذ، فوضعت نفسي مكان عاشمحب..

إن كنت أريد شيئًا وبرقان سيمنعني فما الذي سأفعله؟ سأُجبر برقان بقوة ما أن يتقيَّد برغبتي فقط.

ولكن ما هذه القوة القادرة على مراوغة شرط الآلهة وسمندس؟ لم أقتنع إلا بقوة السحر الذي تجمعت كل فنونه في الأزمان السابقة لتستقر بقدرات عاشمحب، وأشهر وسيلة لتنفيذ السحر في عصورهم هي التعويذات، لمسني يقين خفي بأن عاشمحب يسيطر على برقان بتعويذة ولكن أين هي؟ كانت الإجابة تشير إلى نظرات برقان المتكررة للباب..

هناك تعويذة للخلاص، وهي بالغرفة في مكان ما.

-٣٥-

أشرقتْ شمس اليوم الذي ينتظره عاشمحب منذ ثلاثين قرنًا، الحاكم الميت الذي يرقد في تابوته ويحرك عالمًا من حوله، لن يؤسفني ضياع حلمه ومجهوده خلال ثلاث ألف سنة عندما يكتشف حمق معجزته، ما يؤسفني هو الثمن الفادح الذي دفعته بسمة وصفاء وإيمان ومعهن صبحي، حتى أنا استيقظت اليوم أكثر إحباطًا وتشاؤمًا من أي وقت مضى، يداخلني شعور بخطر ينتظرني ربما الموت، غمرني حنين لكل من أعرفهم فاتصلتُ بكل معارفي وأصدقائي كأني أودعهم، قضيتُ مع بسمة وصلاح وقتًا طويلًا أدركتُ أن أضعافه لن يشبعني منهما، تركتهما وذهبت لحنين وروان، رؤيتهما كانت الحب في أتم معانيه، جذابتان بديعتان أرى فيهما عمرًا قادمًا يجب أن أعيشه، تراودني فكرة عدم الذهاب للمقبرة ولكن حياة بسمة وصفاء هي المقابل، تحدثنا ولعبنا حتى أمسكتْ روان يد حنين واتجهتا نحو غرفة روان:

- هيَّا يا حنين ليرى بابا المفاجأة.

علقتُ وباطني يعني الجملة حرفيًا:

- أخيرًا سأحصل على مفاجأة حلوة.

- لا ليست لك، ستفهم بعد قليل.

غابتا دقائق ثم ظهرتْ روان، تفرد يديها وتنحني قليلًا تُقدم لي حنين بتفخيم:

- تفضلي يا سمو الأميرة.

ظهرتْ زهرتي الصغيرة بزي الأميرات، فتحتُ ذراعيَّ لها فهرولتْ نحوي وسكنت صدري، استأذنتْنا روان:

- سأترككما دقائق وإلا احترق الطعام.

ابتلعها المطبخ فنظرتُ لحنين أتأمل طعامتها، رمقتني بنظرة غريبة لا تناسب سنها:

- شكرًا يا بابا على الهدية.

ارتعش جسدي من نبرة الصوت! من تكلم ليست حنين، من تكلم صوت لا يناسب طفلة، رمقتها بخوف يسري في جسدي كسريان النار في فتيل ديناميت.

- أي هدية يا حبيبتي؟

رفعتْ يدها ببطء فكدتُ أرتفع معها من مكاني، ترتدي الخاتم الفوسفوري الذي وجدته في أول صندوق عثرت عليه في المقبرة،

لم يكن فصه ممسوحًا كما كان، بل يحمل نصف الموت الأسود، وجه حنين مقسوم لنصف يبتسم ونصف يموت، عاودتُ النظر إليها بقلب يتمزق، ملامحها تتحول لتجاعيد كأرض تتشقق، وعيناها جمرتا نار وتتوسل إليَّ بصوت مكتوم:

- أنا أموت يا بابا أنقذني.

ثم تحول صوتها لصيحة بركان:

- الهلاك محقق.

انتفضتُ وشَخَصَ بصري وملأني الرعب قبل أن أراها تترنح وتسقط في بحيرة من الوهن، حملتها وصرختُ بزئير أسد مات أشباله، أرجوها أن تبقى وتقاوم، جاءت روان مذعورة، حاولتْ أخذ حنين ولم تستطع، أضمها لصدري بقوة وكأن الموت سيخطفها مني، دخلتْ علينا والدة روان فزعة من المشهد، ألقتْ حقيبتها وجاءت مسرعة تساعد روان في انتزاع حنين من بين يديّ ونجحتْ، حاولتْ روان إسنادي لأنهض فكنت كجدار ثقيل مهدوم، يئستْ فلحقتْ بوالدتها التي انطلقتْ بحنين للخارج، تركوني وحيدًا بجسد يغلي على وشك الانفجار والتحول لأشلاء، عقلي مثقوب تتساقط منه الأفكار، أصبحتُ خاويًا من كل إحساس لفترة وجيزة ثم ملأتني قوة هائلة، فرَّغتها بآهات مكتومة ودبيب على الأرض كاد يفتك بقبضتيّ.

قمتُ لا أجد إلا طريقًا خُلِقَ من أجلي فقط، أرضي السوداء، المقبرة التي أسكنها قبل أن أتواجد بآلاف السنين، دبر صاحبها صك عبوديتي بشروط غير قابلة للعتق، توجهتُ إليها بجسد يغشاه موت بارد، أجرُّ خلفي ضعفي وغضبي وحزني وعجزي، أتمنى انشطاري لنصفين يموتان لو كان ذلك ثمن ابتسامة أنصاف حنين وبسمة وصفاء، وصلتُ وقد أجمعتُ على تسليم أمري لحاكم الأرض العظيم، ليكن مصيري قطعة من قربانه أو جملة في رسائله، أمسكتُ الشراب وأنا أنظر لبرقان بلا معنى، أتلو في نفسي قوله الأخير بأمل يائس في نجاة لا أراها، استويتُ أمام غرفة القائد ودفعت باب الشجرة، انفتح ببطء فلفحتني من الداخل برودة ثلاجة، خطوت للداخل وأنا أشعر بخروج نصف عاشمحب مني وعودة نفسي الكاملة، كان أول برهان على صدق برقان بانفرادي مع القائد، أكملتُ سيري حتى دخلت و.. نظرتُ! ذُهلتُ! فَزعتُ! مستحيل لا يمكن حدوثه! إعجاز ما تخيلته!

جنون!!!

عجلة حربية ذهبية بحجم دبابة، يعلوها القائد عاشمحب منتصبًا بشموخ، لا! يوسف من يعلوها! أنا!!، أرتدي زيَّ محارب فرعوني، يدي اليسرى تمسك كتابًا ومضمومة إلى صدري، وأتقلد بيدي اليمنى سيفًا مهيبًا، خلفي تقف ميريت، لا! روان هي من

تقف بزي ملكة! ترتدي تاجًا مرصعًا بجواهر ما رأيتُ لها مثيلًا، وأمام العجلة تابوتان ذهبيان، أحدهما مغلق والآخر مفتوح، ترقد بداخل التابوت المفتوح جثة عاشمحب أو.. جثتي، جسد طازج وكأنه فارق الحياة الآن، لا يشوبه إلا انكماش ضئيل، على صدره بردية كثيرة الكلمات فوقها زهرة لوتس حمراء.

وضعتُ القدح على الأرض واندمجت في ذلك العالم الموازِ، طُفتُ حول العجلة، أعاينها بيقين تحقيق نبوءة عودة عاشمحب للحياة، لاحظتُ وجود ثلاث لوحات ذهبية خلفها، يعلو كل لوحة نقش لعاشمحب وروان، أو أنا وميريت، وقفتُ وبدأت أقرأ:

اللوحة الأولى:

لم يكن يومًا عاديًا، بل ائتلف فيه كل ما يجعل منه يومًا أسطوريًا..

الصحراء الواسعة تكدست بالجيوش، عما قليل ستصبح ساحة لظهور الشجاعة على سجيتها، الولاء للوطن سيتدفق من ينابيع القلوب، والإيثار سيقتبس مشاهده التاريخ ليخلدها ومضات مضيئة على صفحاته.

فى تلك الصحراء المكدسة بالجيوش..

انتصبتْ قبائل المشواش[♀] كالأسوار القبيحة، تحجب العزة ولا مفر من مواجهة الأحرار المتحفزين لهدمها، وقف أمامهم القادة والجنود، وأنا، كالجبل شامخًا فوق عجلتي الحربية، الشمس تعتليني كتاج، بدَتْ مأمورة للإشراق من أجلي، تتخللني أشعتها الحارقة فيلتهب حماسي، صمتي ليس هدوءًا بل زوابع من النظرات تشق طريقها نحو

[♀] كانت الكلمة مختصرة في اللوحة بلفظ (مي) والمقصود بها المشواش وهي قبائل ليبية ظلت في نزاع حربي مع مصر للاستيطان في وادي النيل والدلتا منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة، زاد نفوذهم في الأسرات اللاحقة واستقرار في الكثير من مناطق مصر، واستطاع أحدهم وهو "شيشنق" أن يتولى حكم مصر ويأسس حكم الأسرة الثانية والعشرين التي حكمت مصر قرابة قرنين من الزمان.

الأعداء لتنصب عليهم كطعنات السيوف، أنفاسي المتهدجة تعلن وصول رغبتي في القتال للدرجة القصوى، وكأن قائد الجيش قد لامسه إحساسي المُفعم بالحماس، فأعلن إشارة البدء بالهجوم، تقدم الجيش بسرعة متصاعدة واندفعت عجلتي الحربية كفيضان النيل، تجرها الأحصنة بعزيمة قائدها حتى توغلت في مقدمة جيش العدو، اتحدتْ مهارتي القتالية مع قوتي الجسمانية مع رغبة كفاح منقطعة النظير فتجسدتُ وحشًا من عالم الهلاك، لا يُرجَى مني إلا الهروب مني، حميت المعركة واشتدت، وهبت نسائم التعب على الجميع.. إلا أنا، دائرة مغلقة من الحماس المتصاعد، قُتِلَت أحصنة عربتي فترجلتُ مستمرًا في سحق الرقاب، أتلقى طعنات خاطفة من كل اتجاه فلا يتجلى لها أثر إلا علوّ همّتي وازدياد إصراري وتحملي، التف حولي جنود الجيش يستلهمون مني ذروات البسالة حتى صاروا موتًا يبتلع من أمامه، أعطوني شرعية القيادة بلا اتفاق، بلا نفاق، ظفرنا بالنصر الساحق فظل الجند يهتفون فرحين، تأسرهم نشوة النصر فتخفق قلوبهم فخرًا، ثم تعلقت

أعينهم بي، قائدهم الشرعي المُنهك، تبددت طاقتي، وغلبني إعيائي.. فلم تحملني قدماي.

في قصر الفرعون رقدتُ غائبًا عن الوعي يداويني أطباؤه، أنتظر من الاستحقاق ما سيجعلني قائدًا للجيوش، ومن المجد ما سيخلد اسمي في التاريخ، ولا أعلم أني كنت تحت غدر "بانجم"، كبير الكهنة الملعون في السماء والأرض، يكرهني لإخلاصي ومعارضتي لأفكاره التي تهوي بمصر للضعف، ولولا ثقة الفرعون بي لكنت فريسة لمكائده التي أراد بها محوي من الوجود.

اللوحة الثانية

عندما فتَّحتُ عيني للحياة كان الفرعون قد أغمض عينيه للموت، وجد بانجم الفرصة لقتلي سانحة، أرسل إليَّ مجرمًا وأنا لا أقوى على المواجهة، اقترب مني ورفع سيفه، لم أجبُن، بل جعلتُ نظراتي درعًا لن يخترقه سيفه، قبل أن يهوي به عليَّ استقبل رمحًا في ظهره مزَّق أحشاءه وخرج من بطنه، سقط ميتًا فرأيتُ حبيبتي ميريت، شعاع النور الأبدي والحب الذي يجعلني صبيًا، وصيفة الملكة وسيدة القصر بعدها، سمعتْ خطة الكهنة فاختبأتْ في غرفتي قبل غدر المجرم لتنجيني، أخرجتني من القصر آمنًا قبل غدر آخر، جمعتْ مِئة من جنودي المخلصين ليرافقوني إلى منزل منعزل بصعيد مصر، استعدتُ فيه عافيتي، يتناوب على زيارتي جنودي المخلصين، وفي يوم أخبرني أحدهم أن الفرعون وافق على زواج ميريت من بانجم، اتقدت شعلة نار بحجم الهرم في أحشائي، تقلدتُ سيفي وركبت حصاني، راقبتُ القصر حتى رأيتُ بانجم في الحديقة كشيطان، يحاوطه أربعة من مقربيه، تسلقتُ سورًا ومعي جنودي يحمونني

بأقواسهم المشدودة، تقدمتُ للكاهن فهاجمني محاوطوه، قطعت أعناقهم وخنقت بانجم بيديّ، هاجمنى جنود القصر فتلقَّتْ صدورهم وأعناقهم سهام جنودي، تسلقتُ السور لأعود إليهم فأصابنى سهم، تحاملتُ وركبتُ حصاني وانطلقنا عائدين، كَثُرَ جنود القصر خلفنا واقتربوا فآثر جنودي حمايتي بحياتهم، ماتوا جميعًا ليمنحهم أوزوريس النعيم الأبدي، انطلق حصاني حتى دخل الصحراء، توغل فيها وكأنه مأمور أين يذهب، دخل كهفًا فوق تل ثم أسقطنى الإعياء من فوقه، دخل ورائي جنود القصر شاهرين سيوفهم، قبل أن يقتربوا منى دوَّت في الكهف صرخة أوقفت الزمن، بدأ وعيى يتلاشى وأنا أرى رؤوس الجنود تنفصل عن أجسامهم في الوقت نفسه.. وببطء.

عاد وعيى لأنعم برؤية الكاهن شريف الهيئة عظيم الشأن سيدي المقدس سمندس، عالم الفلك والأزمان والمواقيت، حفيد الإله تحوت رب الحكمة والسحر، وحفيد عالم علوم زمانه الكاهن ماساهرتا، عالم أصول سحر التخييل الذي يصنع المعجزات، استقاه من سحرة عظماء قُتلوا بزعم أنهم يؤمنون بنبي، سلَّم أمانتي لأحفاده حتى آلت

لسيدي ومعلمي وإلهي سمندس، قائد جيش الجن المطيعين لأوامره، ووارث سحر التخييل من جده العظيم.

علم بقصتي فأدرك أني صاحب علامات نبوءة الإله أتوم، أمرني بالذهاب لإحضار ميريت، أرسل معي جيشًا من الجن هاجمتُ به القصر، تتطاير الأعناق من حولي دون أن ترى من يقطعها، وتسقط السهام الموجهة إليَّ تحت قدمي قبل أن تلمسني، أخذت حبيبتي المشرقة كالصباح وعدنا إلى الكهف، وهَبَنا سيدي علمه، ومنحنا حكمته، وأعطانا قوته ثم أحضر صندوقًا ذهبيًا أخرج من محتوياته أمانتنا، بردية أجداده المقدسة، ليخبرنا بسر الآلهة الأعظم، سر شراب البعث الذي أعطاه الإله تحوت لإيزيس قبل أن تقرأ تعويذتها السحرية لإحياء أوزوريس، شراب الحياة، شراب الخلود..

شراب اللوتس الأحمر.

اللوحة الثالثة

قبل رحيل أوزرويس إلى حكم مملكة الموتى دعاه الإله أتوم، أخبره بوجود بحيرة دماء صغيرة طاهرة تحت الشجرة المقطوعة التي احتوته، نزفتْ منه أثناء وجوده في التابوت، نبتتْ فوقها زنابق من اللوتس الأحمر، منقوش عليها اسم أتوم الخفي الأعظم، هي سر مفعول الشراب الذي أعطاه الإله تحوت لإيزيس كي تعيد أوزوريس للحياة قبل أن تقرأ عليه تعويذتها السحرية، وأمره أن يأمر إيزيس بالذهاب إلى بحيرة الدماء ووضع التعويذة بجوارها، وسيعثر على الدماء والأزهار والتعويذة كاهن شريف النسل من أبناء الإله تحوت معه وصفة شراب البعث، يجمعها ويحفظها ويجعلها أمانة يورثها لأحفاده المباركين حتى تصل للموعودين بها، وآخر الأحفاد هو كاهني الأعظم سمندس الذي وجدني وأنا الموعود الأول، لكن أنعم عليه أتوم بقدرة فاقتْ قدرة جده الإله تحوت، أدرك بوحي من الآلهة أن إحيائي بتعويذة أوزوريس تجعلني حيًا في مملكة الموتى فقط، فاكتشف بعلمه الزاخر وسحره الفائق تعويذة

لبعثي في مملكة الحياة، لكن بشرط، أن تلتقي روحي بروح إنسان واحد فقط، الموعود الثاني الذي يأتي بعد ثلاثة آلاف عام في زمن تُعطي فيه الآلهة وجوهنا لآخرين، أنت أنا يا من تشرَّف اسمك باسم منقذ مصر من الهلاك، حان وقتك، بعد أن وضعت زهرة اللوتس المقدسة ودماء أوزوريس الطاهرة في الشراب، خُذ زهرة اللوتس الموجودة بتابوتي، ضعها في الشراب واسقني نصفه واقرأ التعويذة الموجودة على صدري، ثم اشرب النصف الآخر بيدك، ستخرج روحك بلا موت لتلتقي بروحي ثم ترتدان إليَّ فتحيا معي في جسدي، ارتض بجزء من داخلك وافعل، سأعطيك قوتي ولن نحيا كالعامة، بل الخلود سيأتي لنا وآلاف السنين ستكون عمرنا، نحكم الأرض بعدل، الصغير فيها مثل العظيم، ننشر الخير في كل الوديان ونتزوج المرأة التي نحب، نتفوق على الأحياء جميعًا وتأتي الأجيال لتعيش معنا أعجوبتنا، افعل الآن ليُتوَّج موطن بعثنا وحكمنا بمولد لحظة معجزة الآلهة العظمى وإلا فأنت تعلم:

الهلاك محقق

كان يلزمني إجراء جراحة عاجلة لتثبيت قلبي المتزلزل بعد تأكده من الموت بعد قليل على يديّ، وقفتُ مشلول الحركة والتفكير بين موتي وبين نجاة عائلتي، قفز إلى ذهني استنتاجي بوجود تعويذة، أملٌ لا أضمن وجوده ولا أعرف مدى فاعليته، طردتُ اليأس حين شممتُ إمكانية النجاح في كلمات برقان، أنا وحدي ولن يؤذيني شيء، ملأني النشاط وبدأت أقتل المكان بحثًا، فتشتُ الفراغات الموجودة في العجلة الحربية والتمثالين وأظْهُرَ اللوحات فلم أعثر على شيء، تحسستُ الأرض شبرًا شبرًا كلها صلبة، لم يبق إلا الجدران، بدأت أمشي بخطى بطيئة، أتحسسها بتأنٍ وعينين تحولتا لميكروسوب، لمستْ يدي جسمًا صلبًا في أسفل أحد الأركان، أمعنتُ نظري فلمحتُ مقبضًا صغيرًا شددته، ظهرت فتحة ترقد بها بردية تحرسها من الخلف كوبرا مرعبة متحفزة للهجوم، تراجعت خائفًا أفكر في حل، عاودتني كلمات برقان بأني ممنوع من الأذى ولن يوجد سواي أنا والقائد في الغرفة، توقعتُ الأفعى وهمًا يصوره لي عاشمحب بسحره، تشجعتُ ومددتُ يدي لا أخلو من حذر، التقطتُ البردية سالمًا قبل أن ألمح الأفعي تتحول لبردية أخرى، تشتتُ لوهلة، فتحتُ الموجودة بيدي فوجدتها مصنوعة من الجلد، عريضة وطويلة تعلوها صورة لجسد واحد يحمل رأسين، رأس عاشمحب ورأس برقان كما رأيته لحظة ظهوره

الأولى لي، يذبح رقبته القائد بسكين من نار، فوق الجسد صفوف أفقية كثيرة العدد من الأشباح والحيات والتماسيح وخراطيش تحوي وجوهًا لكائنات غريبة، أسفل الصورة رموز مبهمة لم أفهم مغزاها، وفي نهايتها كلمات كثيرة صغيرة الحجم، استجمعتُ تركيزي وبدأت أقرأ:

"أيتها الكيانات الإلهية ذوي الأفواه الحكيمة، أرباب القدرة السماوية المتبوأة عروشها، آلهة العوالم الظاهرة والخفية والسفلية، أديري وجهك نحوي ولتسري قدراتك الخارقة في قدراتي، قدمتُ إليكِ قربانًا به ألف من كل شيء طاهر طيب، لتسمع آذانكم صوتي، ولتكن أيديكم عوني أقبض بها على زمام روح أحباب الموعود، ليكونوا تحت رحمتي إن شئت، أُدير أنف الأذى نحوهم ولو أمرت بسلب قواهم وقطع رؤوسهم وفلق جماجمهم، ولتشملهم عنايتي إن شئت، أحررهم من الشرور وأُوقف نزيف الموت المنبثق من قدرتي وقتما أشاء.

أيتها الكيانات الإلهية أقبلي نحوي وأنعشي قلبي وامنحيني قوة الهيمنة على برقان، فليُجرد من طاعته للموعود فيما أريد، لتكن

جذوره مربوطة بالسلاسل والحبال، ضعوني مكانه في كل قول، ولو عصى فليخسر عافيته ويسقط على وجهه، يعمى بصره ويتحول إلى رماد قبل الإفصاح"

أيقنت أنها صك عبوديتي أنا وبرقان ومن حولي والتخلص منها هو حريتنا، حاولت قطعها فكانت أقوى من أن تتمزق، هرستها بيدي وألقيتها أدهسها بقدمي فلم يقنعني إلا وجوب حرقها، أسرعت نحو الباب لألقيها في نار القربان، لم يسمح لي جيش عاشمحب بخطوة واحدة خارج الغرفة، شكلوا حاجزًا غير مرئي فبدوت وكأني أناطح الفراغ بلا فائدة، فكرتُ أن تكون البردية هي سبب منعي من ترك الغرفة؛ ألقيتها بالداخل وكررت محاولة الخروج بقوة فكنت ريشة تزحزح جبلًا، وقفتُ حائرًا مغلولًا أدبُّ على الأرض بقدمي، ثم جلست محبطًا أبحث بعينيّ عن شيء مستحيل الوجود تخشاه العفاريت فلمحتُ الشراب.. سلاح برقان الغامض.

هرولتُ نحوه بشغف دون علمي بكيفية استخدامه كسلاح، أحكمتُ إمساكه بيديّ وخطوت للخارج بترقب، لم يمسني جيش الجان! خمنتُ لدرجة اليقين أنهم مأمورون بحماية الشراب بنفس درجة حمايتي، مشيت واثقًا حتى وصلت لموقد النار، تذكرت أن البردية بالداخل فتخطيتُ ضجري، حملتُ الشعلة لأعود بها في

لحظة تزامنت مع شعوري بعودة نصف عاشمحب إلى نصف جسدي ثانية، كان قويًا نشيطًا، أفرز بداخلي هدوءًا وسكينة جعلتني بمزاج سائح في جزر المالديف لا موعودًا بحمل موته بيديه، كدت أستسلم حين أعدت الشعلة مكانها وقربتُ الشراب من فمي لأحتسيه، بقايا قدرة نصفي الحقيقي وخزتني وهمست لي بالخطر، تشبثتُ بصداها وجاهدت لتملأ كياني، استعدت الشعلة ونظرت للغرفة بتصميم وبدأت أخطو نحوها، يتجاذبني نصفاي فكنت أُسرع في خطوة وأُبطىء في أخرى، تأتيني ثوان أتوقف فيها وأنظر للشراب بشراهة، ثم تليها ثوان أستفيق وأقاوم كعداء مُجهد اقترب من خط النهاية، تخطيت المعاناة وعدت لغرفة الحياة الأبدية، فارقني نصف عاشمحب فاستعدت كامل اتزاني، وضعت الشراب والشعلة على الأرض، التقطت البردية وأطعمتها للنار..

لم تكد تحترق حتى تزلزلت الأرض من تحتي وبدأت الجدران تترنح، العجلة الحربية تتقدم نحوي كأنها ستدهسني، تفاديتها وانطلقتُ للخارج وقد بدأ ضوء المقبرة بالكامل في الاضمحلال، ثم بدأت النيران تضطرم في كل مكان بسرعة خيالية، انغلق باب غرفة عاشمحب فجأة في اللحظة التي شعرت فيها بشيء يظلني من الأعلى، نظرت فإذا بحجر ضخم يستهدفني، قبل وصوله

كانت يد برقان حاجزًا بيني وبينه، رأيته منتصبًا بهيئة الكاهن ولكنه كان عملاقًا، رمى الحجر جانبًا وصاح:

- أسرع بالخروج قبل غلق الباب.

نظرتُ لباب المقبرة فرأيته ينغلق ببطء، جريتُ بسرعتي القصوى وبرقان يدور حولي يزيل كل عقبة تعوقني عن التقدم، قطعت أغلب المسافة آمنًا حتى وجدت برقان يسقط كمصارع انقض عليه مصارع آخر من فوق حبال حلبة مصارعة، سقط جملة واحدة عاجزًا عن الحركة، يجاهد بضراوة للتخلص مما يقيده، بدا أنه يقاوم شيئًا أقوى منه، التقتْ عيناي بعينيه فكرر صياحه:

- أسرع قبل غلق الباب.

أنهى جملته ورأيته يُسحب إلى الخلف بسرعة هائلة، يحاول النطق ولا يستطيع، أظلمتْ الغرفة تمامًا ولم يبق إلا الضوء المتسلل من الباب الذي أوشك على الانغلاق، اتجهتُ نحوه مسرعًا أتعثر وأُصاب من أحجار تسقط فوقي، يصل لسمعي كلمات متقطعة من برقان أثناء مقاومته لِما يكتم فمه:

- ..... الرائحة التـــــ..... سحر التخييـــــــ..... روان ستـــــ.....

ثم تلاشى صوته تمامًا.

انقطع نَفَسي حين وصلتُ للباب، لم يبق فيه إلا فتحة لا تكفي إلا لحشر جسدي، ألقيت نفسي بجنبي الأيمن فكنت بالخارج إلا ساقي اليسرى انحشرتْ، جاهدتُ في سحبها بأقصى عزيمتي قبل أن يدهسها الباب ويُغلَق؛ فجاءتني غير مكتملة، ينقصها جزء من مشط القدم مع الأصابع الثلاثة الصغار، سقطتُ وصرخت من الألم وقد تحولت قدمي لنافورة دماء، سقط بجانبي حجر من السقف فأدركت أن تلك الغرفة في طريقها للانهيار، لمحتُ السلم وقد سقط على الأرض، تحاملتُ وزحفتُ نحوه بأقصى طاقتي، أمسكته وقاومتُ ألم قدمي ووضعته على الفتحة، تسلقته بصعوبة وبطء حتى خرجت، أحسستُ بأن كل شيء قد سكن، لم يمنعني ذلك من تحمل آلامي والتصميم على الخروج من الأرض كُليةً، نهضتُ أتحرك بساق واحدة وأجر الأخرى بدمائها، فتحت باب الأرض وارتميتُ خارجها وقد بدد الإعياء كل طاقتي..

كل ذلك قبل أن يختفي الكون فجأة.

-٣٦-

بعد ثلاثة أيام

بصعوبة كانت جفوني تنفصل عن بعضها لتُفسح لعينيَّ مجالًا للرؤية، رأسي بثقل كرة حديدية وجسدي محشو بعظام عجوز تعدى المِئة عام، استعدتُ وعيي بما حدث في المقبرة فاعتدلت متوترًا أنظر حولي لأتأكد من وجودي على قيد الحياة، وجدتني أرقد على سرير مستشفى بجواره تجلس بسمة وحنين، انتبهتْ بسمة لاستفاقتي، هرولتْ نحوي واحتضنتني بشوق غياب أعوام، جاءتني حنين وقفزتْ فوقي بسعادة، حركتْ قدميها فاصطدمتا بقدمي المصابة، انتفضتُ من الألم، حملتْها بسمة فانتبهتُ لقدمي المكسوة بالجبس من أسفلها حتى ركبتي، جلستْ بسمة بجانبي صامتة تغزو عيناها ملامحي كأنها تستقي الراحة بعد تعب طويل.

- الحمد لله على سلامتك يا حبيبي، لا أصدق، الحمد لك يارب.

قدرتي على الكلام كانت شبه معدومة، شعرتُ بجفاف حلقي فطلبتُ منها مياه، أعطتني زجاجة أنهيتها وطلبتُ المزيد، سمعنا طرقًا على الباب فأذنتْ بسمة بالدخول، لاحت صفاء وزوجها بصحبة مدحت ومنى، تقدموا نحوي يبدو على صفاء الارتياح:

- يوسف، الحمد لله أنك بخير.

صافحوني وجلسوا حولي، تبادلوا كلامًا عامًا عن الاطمئنان على صحتي وأمنيات تمام شفائي على خير فأجاملهم بصعوبة.

- إيمان وصبحي قادمان بعد قليل، أرادا مني انتظارهما لنأتيك معًا ولكني وجدتهما سيتأخران؛ فأخبرتهما بأني سأسبقهما.

لم أستسغ ما قالتْه صفاء! هممتُ بسؤالها عن كيفية وجودهما معًا بعد كارثتهما ثم تراجعت لوجود زوجها، فربما لا يعلم، نظرت لمدحت ومنى خجلًا، فحتى لو زيارتهما لي خوفًا فقد شعرتُ نحوهما بامتنان جعلني أقرر الاعتذار رغم عدم قدرتي على الكلام:

- أنا آسف على الموقف الأخير يا أستاذ مدحت، وآسف لكِ يا منى.

تفرساني بدهشة والتفتا لبعضهما، سألتني منى بتصنع غنج صوتها المعتاد:

- أي موقف يا يوسف؟ أنت بأمانة لم تفعل شيئًا طوال عمرك يستحق الاعتذار.

علق مدحت:

- في الحقيقة لم يفعل ما يستوجب الاعتذار سوى تأخيره الذي كاد أن يصيبني بالجنون، هيا قم بالسلامة لتعود وتتأخر، لا أجد من أسمعه كلمتين.

ضحك لنفسه وتركني حائرًا، هل يتعامى عن الموقف منعًا للإحراج؟! انقضتْ دقائق حتى دخل صلاح، جاءني متلهفًا يحتضنني:

- ياه يا يوسف، ألف سلامة عليك يا حبيبي، أقلقتنا عليك يا ابن الذين.

جلس ينضم لاجتماع دعمي نفسيًا، ثم أخرج من جيبه مفاتيحي وناولها لي:

- خذ مفاتيحك، جئت من الشقة بعدما تم تنظيفها جيدًا، ومررتُ على الأرض لأطمئن إن كانت هناك مستجدات فكان الوضع طبيعيًا.

خفق قلبي بعد ذِكر الأرض، أعطتني كلماته أول طاقة للكلام:

- كنت في الأرض؟

- أجل، كل شيء على ما يرام.

منعني من مواصلة الكلام دخول صبحي وإيمان، دخلا ووقفا أمامي بابتسامات مجاملة وعبارات زيارة المريض، لا يبدو عليهما أثر حادثتهما، بدأ يحوم بداخلي شك مخيف حثني على مواجهتهما باندفاع لا إرادي:

- هل تزوجتما؟

حرقتني إيمان برد فعل كأني سببتها:

- تقصد من؟

- أنتِ وصبحي بعد حادثة الاغتصاب.

تحولتْ لكائن على وشك افتراسي:

- أنت حيوان.

ثم تركت المكان ورحلت غاضبة، نظرتُ لصبحي الذي رمقني باندهاش هادىء وصوت خافت:

- ياليت والله يا يوســـ...

ثم احتدت ملامحه وتراجع لطبيعته:

- ماذا تقول يا عم المجنون؟! أتريد رمينا بمصيبة! اتق ربنا وانظر ماذا ينطق لسانك الذي يحتاج قطعه، أستغفر الله العظيم.

ثم لحق بصاحبته وهو يحوقل ويحسبن ويقرأ عليّ عدية يس، نظرتْ إليَّ صفاء بذهول:

- ما هذا الذي قلته يا يوسف؟

دق ناقوس الخطر أول دقاته برأسي، ابتلعت ريقًا شائكًا وجميعهم صامتين، يبحثون في ملامحي عن علامات الهلوسة، نظرتُ لصفاء:

- صفاء أأنت بخير أم عاودتكِ الصدمة العصبية؟

تبادلتْ نظرات حائرة مع الحضور وكأنها لا تعرف بماذا تجيب:

- أي صدمة عصبية يا يوسف ربنا لا يبتليني بتعب، أنا الحمد لله بخير.

لمستني بوادر انهيار عصبي، تماسكتُ وحاولتُ اختلاق مبرر مؤقت لحين علمي بما يدور:

- إذن فالأخبار التي وصلتني وأنا في الإجازة كاذبة.

تعجبتْ بسمة:

- أي إجازة؟
- الشهر الذي قمت به إجازة من العمل.

تدخلت صفاء:

- كيف ومتى قمت بإجازة وأنت معنا كل يوم في الشركة سوى أيام إجازات متفرقة؟

رد فعل زوجها كان إرهاصة لِما يدور في أذهانهم جميعًا عن عدم سلامة قواي العقلية، استأذننا ليأخذ صفاء ويرحل متمنيًا لي الشفاء، لحق بهما مدحت ومنى، توترتُ، حاولت النزول من فوق السرير ولكن لم أستطع الضغط على قدمي.

- ماذا حدث بالضبط وكيف جئت إلى هنا؟

تولَّى صلاح دفة الكلام:

- ألا تتذكر شيئًا؟ عامة كنت فاقدًا للوعي بجوار باب الأرض وساقك آآ... مكسورة، الشرطة ذهبت للمكان وعاينتْ الأرض ولم تجد دليلًا لشيء، عندما سألونا عن معرفة أي معلومات أخبرتْهم بسمة أن الأرض قبل تركيب الباب كانت عرضة لدخول بعض المدمنين كما أخبرك نجيب، بالتأكيد ستأتي الشرطة لأخذ أقوالك عندما تعلم أنك استعدت وعيك.

نظرت لصلاح كأن ملامحه ستأكد لي صدق ما سيقول:

- ألم تلاحظ شيئًا غريبًا في الأرض يا صلاح؟
- لا، ماذا حدث بالضبط يا يوسف؟

استمر القلق في نهشي:

- من أتى بي للمستشفى؟

ردت بسمة:

- سبحان الله، أكثر من كنت تغتم عندما يتصل بك وكأنه سيعذبك.
- من؟
- عم نجيب.

دارتْ الدنيا بي، تمسك أفكاري مضرب اسكواش وتلعب أمام جدار حديدي وأنا الكرة، انتزعني من صراعي طرقتان على الباب المفتوح وصوت أعرفه جيدًا:

- حبيبي يا جو، تصدق بالله البازار لم يعد له طعم من دونك، ولكن كله يهون طالما أصبحت بخير.

مال عليَّ واحتضنني وأنا ساكن كصخرة لا يحركها طوفان.

- ستقوم بالسلامة لا تقلق، دعوت لك وأنا في العمرة، والدعاء عند الكعبة مستجاب.

ارتختْ أعصابي فطلبتُ منهم جميعًا الخروج، حاولوا البقاء والاطمئنان إن كنت بخير فكررت طلبي حتى استجابوا، أشعر بتيار يجرفني نحو دوامة مخيفة أكثر رعبًا من كل رعب افترسني في المقبرة، المقبرة!! نطقتها وكأنها لغز يبدأ من جديد..

كيف يوجد سعد ونجيب ولا يوجد موتهما؟!

أين الأحداث التي عاشتها صفاء وإيمان ومعهما صبحي؟!

وبسمة.. ماذا عن حملها؟

ثم انتفضتُ بعد تذكري حادثة حنين، ناديت صلاح فجاء مع حنين وبسمة، أمسكتُ يد حنين فرأيتُ الخاتم، تفحصته فوجدت الفص يحمل وجهها كاملًا غير مقسوم.

- أنتِ بخير يا حبيبتي؟

تعجب صلاح:

- بخير يا يوسف، ما الذي يوترك هكذا؟

نظرت لبسمة لأسألها عن حادثة جنينها مترددًا من عدم جرح مشاعرها إن لم تكن حاملًا؛ حاولت التحايل:

- أنا حلمت أنكِ حامل.

نظرا لبعضهما قبل أن يعلق صلاح:

- هي بالفعل حامل، دعواتك أن يتم الأمر على خير.

لثانية لمع بداخلي شعور بالفرحة كشهاب أضاء في سماء مظلمة ثم اختفى.

- أريد مغادرة المستشفى الآن يا صلاح.
- لا توجد مشكلة، أخبرني الطبيب بإمكانية خروجك بشرط استخدام عكاز لفترة، لا ينبغي الضغط على ساقك بقوة حاليًا.

دخل الطبيب ليطمئن على حالتي، أنهينا بعدها إجراءات الخروج وذهبنا لشقتي، جهزتْ لي بسمة طعامًا وكل ما أحتاجه بعد رفضي مبيتها معي رغم إصرارها المشترك مع إصرار صلاح، رحلا ومعهما حنين فذهبتُ للدولاب، الصندوق كما هو بسبائكه ورسائله العتيقة، لم أملك ذرة صبر تمنعني عن الذهاب للأرض، كيف رآها صلاح خالية من الحفر؟ انطلقت بمساعدة عكازي أسير ببطء يأسرني سؤال واحد!

هل كانت المقبرة سرابًا أم مازالتْ تتلاعب بي؟

لو كان عاشمحب مازال يتلاعب بي فماذا عن انهدام المقبرة وحرقها! ماذا عن تعويذة الخلاص التي نجتني وأنقذت من حولي! ولو كانت سرابًا فمن أين جاء سعد والسبائك والرسائل وجرح قدمي! كيف كنت في المقبرة ويراني الجميع في العمل! هل كنت شخصين؟! هل سخَّر القائد جنيًا يتمثل بوجهي كما تمثل لي برقان بوجه إنسان؟!

تذكري لبرقان نفث الأمل بداخلي كما حدث من قبل، حاولت تذكر كلماته قبل انقطاع صوته:

- ".....الرائحة التي....."

عن أي رائحة يتحدث وما مدى أهميتها ليخبرني بها في وضعه الصعب! وفجأة انتبهتُ للرائحة التي دهمتني عند فتح أول صندوق عثرت عليه في المقبرة، الرائحة التي أثقلت جسدي وغيَّبتني عن الوعي، وليس أنا فقط بل التصقت بي وكررت تأثيرها على كل من استنشقها، ولكن ما السر بعد التأثير؟

عدت لكلمات برقان فتذكرت:

- ".....سحر التخييل....."

كانت المرة الأولى التي يتعاظم فيها قدر الكلمة في نفسي، لا أشك بأن جوهر الأمر يكمن في أعماق ذلك السحر، حضر بذهني

ماساهرتا، الساحر الذي تعاملتُ معه كأقل شخصيات حياة عاشمحب أهمية، الرجل استقى السحر من سحرة فرعون، أعظم سحرة الأرض الذين تحدوا نبيًا مرسلًا، قدراتهم خلدت أسماءهم في الكتب السماوية، وصنفهم التاريخ كأعظم وأمهر سحرة الأزمان، ربما مهما فكرتُ وتخيلتُ مدى قدرة ما استقاه منهم ماساهرتا وورَّثه لعاشمحب؛ فلن أحط بالأمر كاملًا، خاصة وأن عاشمحب نفسه وصفه في لوحته بأنه السحر القادر على صنع المعجزات، كل ما أوقن به أن سحر التخييل تسلل من خلال الرائحة ليفرض سيطرته علـ...

على من؟؟ أنا من كنت أتخيل أم هم؟ سعد موجود وموته محذوف! إذًا أنا من أتخيل، أنا في إجازة ويراني الجميع في العمل! إذًا هم من يتخيلون، تجولتُ بين أفكار تدير ظهرها لي، لم أهتدِ إلا لقدرة ذلك السحر على فرض سيطرته عليَّ وعلى الجميع بما يُهيىء حياة تناسب ما يريده عاشمحب، لا تفسير إلا ذلك كي تتجمع كل الأحداث لتظهر بهذا الشكل المنطقي.

لاح أمامي باب الأرض فتقدمتُ نحوه، أتنفس الراحة وأمدح نفسي على هذا التحليل الذي سد كل ثغرات اللا معقول، ثم أوقفني سؤال واحد أراه وأسمعه وأتنفسه:

الآن من أنا؟ في الواقع أم تحت سيطرة سحر ماساهرتا؟

اقتحم أفكاري صوت نجيب:

- الحمد لله على سلامتك يا أستاذ يوسف، خير ماذا حدث لساقك كفى الله الشر؟

اقترب ووقف أمامي، مدَّ يده ليصافحني فلم أستجب، أمسحه فقط بنظرات لفتت انتباهه:

- لماذا تنظر إليَّ هكذا يا يوسف باشا؟

مددتُ يدي وتحسست صدره أتأكد من إغلاق نافذته الدموية، أزاح يدي بارتباك وتراجع للخلف:

- ماذا تفعل هل أنت من قوم لوط أم ماذا! أستغفر الله العظيم، هل فقدت عقلك أم ما هي حكايتك بالضبط؟

جمود ملامحي أقنعه بالفرار من أمام مخبول، عدتُ لسؤالي مطوقًا بغموض إجابته، من أنا الآن؟ هل نجيب الآن حي وتخيلت موته؟! أم ميت وأتخيل أنه حي؟

كان الرد يتوارى خلف باب الأرض الذي وصلتُ له ولمسته، لا أستوعب فتحه ورؤية أي أثر للمقبرة كما أخبرني صلاح، ثم التأكد من زوال فاعلية مربع الجذب، فالنتيجة النهائية يجب أن تكون فناء عاشمحب ومقبرته بعد فشل مشروع الحياة الأبدية، فتحتُ الباب فرأيت أرضي القديمة، دخلتُ بابتسامة تتزايد أتأكد

من أي آثار للحفر فلم أجد، كررتُ الوقوف والقفز على مربع الجذب مرات عديدة فكان أرضًا عادية، انحزتُ لبرقان كي أرى في كلماته ما يخالف تحليلي فلم أجد إلا...

- ".....روان....."

أين روان؟ إن نسيانها منذ استفاقتي حتى الآن معجزة أعظم من نجاح معجزة حياتي الأبدية.

من أين يعرفها برقان وماعلاقتها بما يحدث كي يذكرها قبل أن يتلاشى؟!!

أخرجتُ هاتفي فوجدته مغلقًا، فتحته في ثوان نسيت فيها التنفس أدعو ألا تكون روان إحدى نتائج سحر التخييل، رأيتُ اسمها فتذكرتْ رئتاي الشهيق، استنشقتُ نفسًا عميقًا واتصلت بها فاجتاحتني كعاصفة هوجاء:

- ألن تتوقف عن مضايقتي بهذا القلق الرهيب الذي أصبح عادة عندك، لا أفهم لماذا تغلق هاتفك في هذا التوقيت؟
- حبيبتي أين أنتِ؟
- كنت مع ماما عند الدكتور وبسمة أخبرتني أنك قمت بالسلامة وعدت للبيت، لم تفكر حتى أن تكلمني يا يوسف!

- آسف يا روان لست متزنًا، أين أنتِ الآن؟
- تقريبًا وصلت عندك، سآتي لرؤيتك والاطمئنان عليك وأرحل.
- لست في البيت.
- وأين أنت يا يوسف؟

انتهى كل شيء ولم ينته كرب حديثي معها عن الأرض:

- في مشوار.
- يوسف من فضلك أخبرني بمكانك وإلا فلا تحاول البحث عني ثانيةً.
- في الأرض يا روان.
- ماذا!! كيف تذهب وحدك وأنت في هذه الحالة؟ أغلق أنا قادمة إليك.

لم يكن بوسعي غير الاستسلام لرغبتها، لا أرى عقبة في مجيئها فقد نضب الأمر من الخطر، أتتْ واحتضنتني، تضمني برفق كأنها من تستمد مني الاطمئنان.

تجولتُ في الأرض أغتسل بالأمان من حوادثها التي أهلكتني وروان صامتة ساكنة ترمقني بلا معنى، سقط عكازي من يدي فانحنيت ألتقطه، أمسكته وقبل اعتدالي واقفًا سمَّرتني روان:

- أين المقبرة التي أخبرتني بوجودها يا يوسف؟

لو قارنتُ إحساسي بما حلَّ بي بعد سؤالها بكل الأحداث السابقة لتفوق إحساسي الحالي، طالعت كافة الأحداث فلم أجد فيها ما يثبت إخباري لروان بشيء.

- أنا أخبرتك بأمر المقبرة؟
- أجل، واتفقنا أننا لن نأتيها إلا معًا.

نظرتُ حولي أترقب ظهور أشباح ستنقض علينا، أرنو إليها بتركيز وقلق، وضعتْ يدها على صدرها وارتختْ ملامحها:

- يوسف منذ دخولي أشعر بإحساس لا أفهمه! قلقة أم مطمئنة، أريد البقاء أم أريد المغادرة! لا أستطيع تحديد شعور ثابت؟

ابتلعتُ ريقي بصعوبة، ظللتُ أرمقها بغموض، استوثقتُ من جديتها، كان بيننا مسافة أمتار، بحزم طلبت منها الرحيل.

- هيا نغادر في الحال يا روان.

تحركتُ وأسرعتْ نحوي، لم أكد أسبقها بخطوتين حتى اصطدمتْ بي من الخلف، سقطنا على الأرض، رمقتها منكمشة ترتجف، تتلفت حولها بعينين اتسعتا من الذعر، أخبرتني بشعور كهرباء ومغناطيس عِشتُهُ قبلها، بقينا على الأرض دقيقة، أتأملها

بفزع أكثر مما يبدو عليها، لكني لم أكن مثلما كان إيهاب معي لا يصدقني، بل أمسكتها واحتضنتها، نهضنا معًا، تحولنا لتمثالين عندما اتجه بصرنا صوب الباب! لم يعد بابًا! نصفه العلوي لوحة بها عاشمحب وميريت يقفان بشموخ الملوك، ونصفه السفلي مربعان يحملان وجهي أنا وروان، كل مربع يقسم وجهينا لنصفين، نصف يبتسم ونصف يموت، ومدون بالأسفل ما يُنذر بمشارف دنيا جديدة قادمة:

إن لم تأتيا إلينا بالحياة فسنأتي إليكما
بالموت، وتذكرا جيدًا:
الهلاك محقق.